المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخامس والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٧

مذنب هلي

اين الرواية بل اين النجوم وما   صاغوهُ من زخرف فيها ومن كذبِ
تخرُّصاً واحاديثاً ملفَّقةً   ليست بنبع اذا عُدَّت ولا غربِ
عجائباً زعموا الايام مجفلةً   عنهنَّ في صفر الاصفار او رجبِ
وخوَّفوا الناس من دهياء مظلمة   لما بدا الكوكب الغربيّ ذو الذنبِ

أيدري قرّاء هذه الابيات من ايمَّة العربية وادبائها ان ابا تمام الطائي ناظمها عنى بالكوكب الغربي ذي الذنب مذنَّب هلي بعينهِ الذي انبأَتنا الاخبار البرقية انهُ ظهر الآن في السماء · نعم ظهر ولكنهُ لايزال بعيداً عنا جدًّا لايرى الاَّ بالتلسكوب وهو مقترب من الارض وسرعتهُ فائقة فسيدنو حتى يرى بالعين في اوائل الربيع المقبل · وقد انبأَ علماء الفلك بقدومهِ منذ سنين كثيرة وكانوا يرقبون ظهورهُ في هذا الخريف فظهر كما انبأُوا لدقة الحساب الفلكي

اما قولنا ان النجم الذي اشار اليهِ ابو تمام في قصيدتهِ انما هو مذنب هلي فمبني على ان ابا تمام انشأَ قصيدتهُ هذه في مدح الخليفة المعتصم على اثر فتح عمورية سنة ٢٢٣ للهجرة ويظهر بالحساب ان مذنب هلي يتم دورتهُ في نحو ٧٦ سنة فيدنو من الارض ويرى كل ٧٦ سنة واذا تقهقرنا بالحساب الى الوراء وجدنا انهُ ظهر سنة ٨٣٧ مسيحية اي سنة ٢٢٢ هجرية · وقد ذكر موَّرخو العرب انهُ ظهر نجم ذو ذنب حينئذٍ ارتاع لهُ الناس قال ابن الاثير في حوادث سنة ٢٢٢ « وفي هذه السنة ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقي يرى نحواً من اربعين ليلة ولهُ شبه الذنب وكان اول ما طلع نحو المغرب ثم رُئي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلاً جدًّا فهال الناس ذلك وعظم عليهم · ذكرهُ ابن ابي اسامة في تاريخهِ وهو من الثقات الاثبات »

ثم ذكر فتح عمورية في حوادث السنة التالية اي سنة ٢٢٣ هجرية فلا شبهة اذاً في ان

النجم ذا الذنب الذي ذكرهُ ابو تمام انما هو مذنب هلي بعينهِ وانهُ ظهر قبيل فتح قلعة عمورية الذي قال فيهِ ابو تمام

فتح تفتَّح ابواب السماء لهُ   وتبرز الارض في اثوابها القشبِ
يا يوم وقعة عمورية انصرفت   عنك المنى حفلاً مغسولة الحلبِ

اول من رصد هذا النجم وعرف سيرهُ والفلك الذي يسير فيهِ المستر ادمند هلي Halley الانكليزي الذي قال فيهِ لالند الفلكي الفرنسوي الشهير انهُ اعظم فلكي انكليزي نشأَ في عصرهِ

ولد هلي سنة ١٦٥٦ وعكف على العلوم الرياضية والفلكية ورصد الافلاك بما استطاع اقتناءهُ من آلات الرصد واراد ان يحقق مواقع النجوم الجنوبية فرأَى ان يرصدها من جزيرة القديسة هيلانة التي نفي اليها بونابرت بعدئذٍ وكان ابوهُ على شيء من الثروة فاعطاهُ ما يلزم لنفقاتهِ فذهب الى تلك الجزيرة ورصد النجوم الجنوبية ووضع لها زيجاً طبع سنة ١٦٧٩ ووجد ان بعضها تغيَّر في اشراقهِ عمَّا كان في الازياج السابقة

وكان الناس يجهلون حينئذٍ امر النجوم ذوات الاذناب ويتخوَّفون منها كما كانوا يتخوفون في زمن ابي تمام وقبلهُ وكان الفيلسوف اسحق نيوتن قد اكتشف ناموس الجاذبية وحقق ان الكواكب السيارة خاضعة لهُ وظن ان ذوات الاذناب جارية مجراها. والظاهر ان هلي ظن ذلك ايضاً وكان صديقاً لنيوتن فذاكرهُ في هذا الموضوع فاشار عليهِ نيوتن ان يرصد ذوات الاذناب وينظر في رصود غيرهِ لها ثم يبني حكمهُ على ما يراهُ

واتفق ان ظهر مذنب كبير في السماء سنة ١٦٨٠ فادهش الناس بسيرهِ وبهائهِ وحركتهِ فانهُ دنا من الشمس بسرعة فائقة حتى غاب عن البصر ثم ظهر ثانيةً وامتدَّ منهُ ذنب طويل جدًّا ثم تنقَّل في السماء الى ان غاب عن الابصار في اوائل السنة التالية. ورآهُ هلي وهو ذاهب الى باريس والتقى هناك بالفلكي كاسيني ورصداهُ كلاهما ورصدهُ نيوتن بنظارتهِ واستنتج ان ذوات الاذناب اجسام مثل السيَّارات في مادتها وحركتها وان اذنابها بخار لطيف تسببهُ حرارة الشمس حينما تدنو المذنبات منها وحسب فلك هذا المذنب بناءً على ما قاسهُ من حركتهِ

وفي الخامس عشر من اغسطس سنة ١٦٨٢ ظهر المذنب الذي نحن في صددهِ الآن وهو مذنب هلي فرصدهُ فلمستيد فلكي المرصد الملكي في جرينوج ورصدهُ هلي ايضاً وظهر لهُ ذنب في السادس والعشرين من الشهر طال ١٢ درجة ورآهُ حينئذٍ فلكيو باريس وجعل

ذنبهُ يطول باقترابهِ من الشمس ونتأَت منهُ ذؤَابة اتجهت نحو الشمس وكأَنها لقيت فيها ما صدها فعادت الى المذنب

ورصد هلي هذا المذنب كما تقدَّم وجمع ارصاد غيرهِ من الفلكيين لكي يستدل بها على الفلك الذي يسير فيهِ حول الشمس اي على شكل فلكهِ ومقدارهِ وسرعة سيرهِ فيهِ حتى يعرف الزمن الذي يلزم لاتمام دورتهِ في فلكهِ وعودهِ الى المكان الذي رُئي فيهِ حينئذٍ . واشار عليهِ نيوتن ان يبحث في التواريخ القديمة عن اوقات ظهور ذوات الاذناب واوصافها ليرى فيها مذنباً يماثل هذا المذنب في شكلهِ ووضعهِ وحركتهِ فوجد ان المذنب الذي ظهر سنة ١٥٣١ والمذنب الذي ظهر سنة ١٦٠٧ يماثلان هذا المذنب من كل الوجوه فحكم ان الثلاثة مذنب واحد وان هذا المذنب يتم دورتهُ في نحو ٧٦ سنة وقدم نتيجة بحثهِ الى الجمعية الملكية سنة ١٧٠٤ في رسالة انبأَ فيها برجوع هذه المذنب سنة ١٧٥٨ وكان عمرهُ حينما انبأَ بذلك خمسين سنة فلم يكن ينتظر ان يرى ذلك المذنب ثانيةً فاوصى علماءَ الفلك ان يرصدوهُ بعدهُ وكرَّر عليهم هذه الوصية قبل وفاتهِ

ولما دنا الوقت لظهور هذا المذنَّب جعل علماءُ الفلك يعيدون الحساب و يدققون فيهِ . وحساب سير المذنبات من اصعب ما يكون لاسيما اذا أُريد التدقيق في معرفة تأْثير السيَّارات في سيرها لكن كان بين علماء الفلك حينئذٍ رجلان من اكبر علماء الرياضيات وهما كلرو ولالند فأَتما حسابهما في اوائل نوفمبر سنة ١٧٥٨ وفي الرابع عشر من ذلك الشهر قدَّم كلرو رسالة في هذا الموضوع الى اكادمية العلوم بباريس بيَّن فيها ان جذب المشتري سيؤَخر رجوع المذنب الى نقطة الراس اي الى اقرب بعدهِ عنا ٥١٨ يوماً وجذب زُحل سيؤَخرهُ مئة يوم ولذلك لا ينتظر وصولهُ الى نقطة الراس قبل ١٣ ابريل سنة ١٧٥٩ وقال ان مشاغلهُ الكثيرة جعلتهُ يهمل فواعل اخرى طفيفة قد تغير ميعاد وصولهِ الى نقطة الراس شهراً من الزمان

فظهر المذنب كما انبأَ ووصل الى نقطة الراس في ١٢ مارس سنة ١٧٥٩ اي قبل الميعاد بشهر

ومن الغريب ان اول من رأَى المذنب في ظهورهِ هذا فلاَّح سكسوني كان يرصد الافلاك بنظارة طولها ثماني اقدام وكان ماهراً في صناعة الرصد فرأَى نقطة بيضاءَ في قبة السماء لم يرَها قبلاً فظنَّ انها الضالة المنشودة وجعل يرصدها ليلة بعد ليلة وهي تزيد كبراً وجلاءً الى ان تحقق انها مذنب هلي نفسهُ . ولما بلغ علماءَ الفلك ان فلاحاً رأَى المذنب قبلهم اخذ الغيظ من بعضهم فتهكموا عليهِ اولاً ونفوا صحة قولهِ ثم اضطروا ان يسلموا بهِ

وظهر هذا المذنب واضحاً في البلدان الجنوبية فرصدهُ الاب كردو في بونديشري ببلاد

الهند وقال انهُ كان في ٣٠ ابريل مثل نجم كبير يحيط بهِ شيء كالضباب ولهُ ذنب طولهُ ٣٠ درجة ورصدهُ المسيو له نو في جزيرة بوربون وقال ان طول ذنبهِ كان ٣ درجات في ٢٩ مارس فبلغ ٤٧ درجة في ٥ مايو ثم رُصد في لسبون وباريس وطولوز

ولما ثبت ان هذا المذنب دوري اي انهُ يعود في زمن معلوم اهتمَّ العلماءِ بمعرفة تاريخهِ وكان هلي قد حقَّق ازمنة ظهورهِ الماضية الى سنة ١٤٥٦ فحقق المستر رسل هند ازمنة ظهورهِ السابقة وبيَّن ان المذنب الذي ظهر سنة ٨٣٧ مسيحية هو مذنب هلي نفسهُ وهو الذي قلنا ان ابا تمام اشار اليهِ في قصيدتهِ التي مدح بها الخليفة المعتصم · ولقد كان تأْثير ظهورهِ في اوربا حينئذٍ اشد من تأْثير ظهورهِ في اسيا فان لويس الاول ملك فرنسا ابن شارلمان جزع منهُ جزعاً شديداً واستدعى منجميهِ وطلب منهم ان يخبروهُ عما ينبئ بهِ · قال رئيس المنجمين في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ظهر في السماء نجم يتبعهُ الشؤْم دائماً ولما بلغ الامبراطور خبرهُ قلق اشد القلق ولم يهدأْ لهُ روع حتى جمع بعض العلماء وانا معهم ولما دخلت سأَلني بلهفة قائلاً ما معنى هذا النجم وبماذا ينبئ فقلت لهُ امهلني ريثما ارقبهُ واستدلُّ من النجوم على معناهُ ووعدتهُ بان آتيهُ بالجواب من الغد · فادرك ان ذلك محاولة مني لكي اتبصَّر ولا اقول لهُ شيئاً يغيظهُ وقال لي اصعد على سطح القصر الآن وعد حالاً واخبرني بما رأَيت فاني لم ارَ هذا النجم البارحة وانت لم تدلني عليهِ وانا اعلم انهُ مذنَّب فاخبرني عما ينذرني بهِ · ثم قال وهنا امر آخر اراك تخفيهِ عني وهو ان هذا النجم يدل على موت ملك وقيام آخر

ولما رأَى المنجمون الحاضرون حكمة الملك الفائقة لم يسعهم الاَّ ان يعترفوا بان النجم المشار اليهِ نذير من الله ينذر باقتراب ايام السوء لكثرة معاصي الشعب · فبادر الملك الى اصلاح سيرتهِ وبناء الكنائس وانشاء الاديرة في كل ممالكهِ تسكيناً لغضب الله

وقد بحث المهندس ديونيس دي سجور في كل الاخبار الواردة في التواريخ عن ظهور هذا المذنب حينئذٍ ولاسيما في الاخبار الصينية فثبت لهُ انهُ مذنب هلي نفسهُ وانهُ بلغ نقطة الراس في ٢٨ فبراير سنة ٨٣٧ وانهُ اقترب من الارض في شهر مارس حتى بقي بينهُ وبينها مليونا ميل فقط وان ذنبهُ طال حتى فاق في طولهِ نصف قبة السماء

ولما ظهر هذا المذنب سنة ١٠٦٦ للميلاد اتفق ان ظهورهُ كان لما فتح وليم الظافر انكلترا فعلَّق الانكليز بهِ ما حلَّ بهم من المحن وقالوا ان حجمهُ كان مثل حجم البدر وان ذنبهُ كان كذنب التنين او كالسيف المسلول وانهُ خرج من فيهِ خطان طويلان من اشعة النور وصل

احدهما الى فرنسا والآخر انقسم سبعة اقسام انتشرت فوق ارلندا

وقد ذكر ابن الاثير ظهور هذا المذنب في حوادث سنة ٤٥٨ هجرية الموافقة لسنة ١٠٦٦ مسيحية قال « في العشر الاولى من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير لهُ ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهي ممتدة الى وسط السماء وبقي الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر ايضاً آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نورهُ عليهِ كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا . ولما اظلم الليل صار لهُ ذنب نحو الجنوب وبقي عشرة ايام ثم اضمحل » . ومعنى قولهِ « غاب » انهُ دنا من الشمس حتى لم يعد يُرَى ولما ابعد عنها قليلاً رئي ثانيةً

وكان لظهور هذا المذنب سنة ١٤٥٦ ميلادية الموافقة لسنة ٨٦٠ هجرية شأن كبير شرقاً وغرباً لان ظهورهُ كان بُعَيْدَ فتح القسطنطينيَّة وايغال السلطان محمد الفاتح في اوربا وقد ذكرهُ ابن اياس في حوادث سنة ٨٦٠ فقال وفي اثناء هذا الشهر (جمادى الاولى) ظهر في السماء نجم بذنب طويل جدًّا وكان يظهر من جهة الشرق ودام يطلع نحواً من شهرين وكان من نوادر الكواكب فتُكلم في ما يدلُّ عليه من الامر وزاد الكلام بسببهِ . ثم اختفى واقام مدة طويلة نحواً من ثلاث سنين حتى وقع بمصر الطاعون والحريق . قال صاحب مرآة الزمان ان اول ما ظهر نجم الذنب عند ما قتلَ قابيل اخاهُ هابيل وظهر عند وقوع الطوفان وعند وقود نار ابرهيم الخليل وعند هلاك قوم عاد وثمود وعند هلاك فرعون وعند قتل الامام عثمان بن عفان وعند قتل الامام علي وعند قتل جماعة كثيرة من الخلفاء وفي الغالب يحدث عند ظهور نجم الذنب حادث عظيم وقد جُرّب ذلك وصحَّ من فناء وقتل وفتن وخسف وزلازل وغير ذلك » . انتهى ما ذكرهُ ابن اياس في تاريخهِ ويظهر منهُ ان اهل الشرق كانوا يخافون من ظهور النجم ذي الذنب مثل اهل الغرب وينسبون اليهِ كل ما يصيبهم من الرزايا

اما كتَّاب الغرب فقالوا انهُ ظهر في ٢٩ مايو وسار في السماء نحو القمر وكان ذنبهُ شبيهاً بالسيف العثماني وبلغ نقطة الراس في التاسع من شهر يونيو ثم ارتد راجعاً . وزعم بعضهم انهُ كسف القمر فعلاً لشدَّة ضيائهِ . ولكن اتفق ان القمر كُسف حينئذٍ كسوفاً عادياً فحسبوا ان المذنب كسفهُ . وكانت غرَّة جمادى الاولى في ٧ ابريل تلك السنة والظاهر ان ابن اياس اراد جمادى الثانية

وكتب المؤرخ بلاتينا حينئذٍ في كتابهِ الذي طبع في البندقية سنة ١٤٧٩ يقول . ظهر

نجم ناري شعري اياماً فقال اهل الحساب انهُ سيتلو ظهورهُ وباء وقحط ومصائب شديدة فامر (البابا) كالكستوس بالابتهالات لدفع غضب الله ... وامر ان يستجلب رضا الله بالتوسل المستمر ...

وظهر هذا المذنب آخر مرة سنة ١٨٣٤ وبلغ معظم بهائهِ في السنة التالية كما حسب علماء الفلك وقد حسب الكونت ده بونتكولان سنة ١٨٦٤ انهُ سيبلغ نقطة الراس في ظهورهِ الاخير هذا في الرابع والعشرين من شهر مايو سنة ١٩١٠ لكن وقع في حسابهِ بعض الخطإ. ورجَّح المستر كروملين ان المذنب يبلغ نقطة الراس في ١٦ ابريل المقبل ويمر حول الشمس بسرعة ١٨٠٠٠ ميل في الدقيقة ويصير على ١٢ مليون ميل من الارض. واذا اتفق انهُ جذب الارض حينئذٍ جذبةً عنيفة اراح سكانها من هذا الجهاد الشديد وهذا الطمع الاشعبي وعلَّم اهالي اوربا واهالي اسيا ان الناس كلهم شرَع ليس في اصلهم شرف يفاخرون بهِ غير الطين والماء. ولكن هذا الاتفاق بعيد الحدوث جدًّا لا يقع في دورة من مليون دورة فلا وجه للتخوُّف منهُ. ولا يبعد ان تشيع الاوهام والتخرصات على اثر ظهور هذا المذنب كما شاعت في عهد ابي تمام لاسيما وان بعض الجرائد الاوربية ستتخذ ظهورهُ فرصةً لاشاعة الاخبار المدهشة والاراجيف المقلقة. فعسى ان لا تترجم جرائدنا عنها شيئًا من هذا القبيل لان كل ما يقلق البال يؤَثر في الصحة ومجرى الاعمال. وحسب الجمهور ان يعلم ان هذه المذنبات نفسها اجسام صغيرة جدًّا في الغالب كالنيازك وان اصطدامها بالارض بعيد الوقوع جدًّا وان اذنابها التي تلاقي الارض احيانًا كثيرة لكبرها واتساعها غازات لطيفة لا تؤَثر في الارض اقل تأثير

ويظهر من حساب الاستاذ ملوسفتش ان هذا المذنب يبلغ نقطة الراس في التاسع عشر من ابريل المقبل ومن حساب الاب سرل مدير مرصد بركلندس انهُ يبلغ نقطة الراس في ١٨٫٦٣ من ابريل اي انهُ يبلغ اقل بعدهِ عن الارض في التاسع عشر من ابريل ويكون بعدهُ حينئذٍ عن الارض نحو ١٣ مليون ميل ورجح ان ذنبهُ يغمر الارض في الثامن عشر من شهر مايو. وسيرى في اول العام الجديد في برج الحوت كنجم من نجوم المساء ويعود الى الظهور بين نجوم المساء في شهر مارس وفي شهر مايو ومن المحتمل انهُ يقرب من الشمس حتى يرى وقت كسوفها في الثامن من شهر مايو المقبل

اما الكلام على المذنبات عمومًا وما يراهُ العلماء في سبب وجودها وحقيقة اذنابها فترى فيهِ مقالة مسهبة في جزء يوليو من هذه السنة

سر الوجود

ما هي الحياة اين كان الاحياء قبلما ولدوا والى اين يمضون بعدما يموتون · وما هي الحكمة في هذا الخلق · لماذا يولد مئة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الاَّ اثنان من اولادها اشدهما وتثمر الشجرة الوفًا من الاثمار قبلما يتفق لاحدى بزورها ان تنبت وتخلف نسلاً · وعلى مَ تظهر الازهار والرياحين في الغابات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتمتع بها ذوق حيوان

يجيبك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كل حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياء بنوع عام · يقول لك ان قوى الطبيعة وميكروباتها تجتمع على عناصر الجماد فتحلها وتركبها وتجعلها غذاءً للنبات فينمو بها ويصير غذاءً للحيوان · وكلما سقطت ورقة او نبتت شجرة اقبلت عليها الميكروبات فحللتها واعادتها الى التراب غذاءً لما يخلفها · وكلما مات حيوان انحلَّ جسمهُ وعاد الى الارض والهواء غذاءً للنبات وان لم يت اكلهُ غيرهُ من الحيوان غذاءً لهُ · وانواع النبات والحيوان ترتقي جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد آخر حسب النواميس الطبيعية القاضية ببقاء الاصلح للبقاء · والانسان غير مستثنًى من ذلك بل تجري عليهِ نواميس الطبيعة كما تجري على غيرهِ يولد معرَّضًا للآفات الطبيعية فتغلب عليهِ او يغلب عليها ويموت من غير نسل او يخلف نسلاً وتتوالى الاعقاب والاحقاب والارتقاء مستمرٌّ وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم بهِ جزءٌ من اجزاء هذا الرقي . هذه خلاصة اقوال العلماء الطبيعيين فهل كشفتِ الغطاء عن سر الوجود وازاحت الستار عن معنى الحياة

وقف كاتب هذه السطور عند هذا الحد واطلق للخيال العنان فلم يرَ امامهُ الاَّ ظلامًا دامسًا فارتدَّ على نفسهِ وهو يقول

عفت اليراع ساءمةً وفرارا   من بادراتٍ تلجم الافكارا
وخرجت في ليل كأن نجومهُ   احقاق فصفور اصابت نارا
جبتُ الجزيرة لا ارى لي مؤْنسًا   والنيل حولي لا يزيل اوارا
حتى بدا نور الصباح فشمتهُ   نور الهدى فاتيتهُ محضارا
وطلبت عن هذا الوجود وسرهِ   كشفًا يزيح عن الوجود ستارا
فاجابني سرُّ الوجود صحيفة   طويت فقلتُ أُنشرْ امنت عثارا
فتشتُ عن سر الوجود وقصدهِ   وسألتُ عنهُ النطس والاحبارا

طالعتُ ما كتبوا فما من مقنع   وكتبت ما قالوا فلستُ أُمارى
اسماك هذا النيل لا تحصى وفي   تاريخها قد جازت الادهارا
عاشت وماتت بين حبٍّ او قلًى   تحنو وتقسو لا هوًى لا ثارا
حربًا وسلمًا واعتداءً واحتكا   مًا لا ترى منها لها انصارا
وطوائف الاحياء يعيي وصفها   قسَّ البيان وعدُّها المقدارا
من مثلِ مكروب حقير لا يرى   او مثل تمساح طوى الانهارا
والنيل قلْ ما شئت في تعظيمهِ   نهر جرى كي يدرك الابحارا
لو الف نيل جُمّعت ما ماثلت   من اوقيانوس واحد معشارا
بحر خضمٌّ والخلائق ملئهُ   تبغي البقا والى الفنا تتبارى
كانت كذلك في العصور الغابرات المبقيات على الصفا آثارا
منها تولَّدت الصخور وطالما   قلب غدا صخراً وماءٌ غارا
والطيرُ في انواعها وضروبها   سامت ذكاءً تحلُّقًا ومطارا
اسرابها تغدو وتقطع رُحَّلاً   خوف الردى والى الردى تتجارى
ونبات هذي الارض من ارز الى   زوفا يبيد وان يعش اعصارا
فعلى مَ هذا الخلق ان كان الفناءَ مصيرهُ والناس فيهِ توارى

فاجابني رِكز خفيٌّ قائلاً   اسمعْ وقلْ قولي «امنتَ عثارا»
هذي الخلائق كلهنَّ دقائقٌ   والكون من مجموعها قد صارا
والفرد فيها ليس من مجموعها   الاَّ هباءً او قذًى منهارا
ورقيُّ هذا الكون يستدعي — اندثار دقائق ونفايةً وبوارا
هذهِ تعاليم الفلاسفة الاولى   جعلوا دجى الليل البهيم نهارا

انموت في سبل الرقيِّ ضحيةً   ونصير من اجل الرقيِّ غبارا
نورَ الخلائق مصدر النور الذي   يهدي الكواكب في السماء مدارا
ان لم تنر عقل ابن آدم لم يجد   نور الهدى بل زاد عنك نفارا
فاهدِ ايا نور البصائر معشراً   تخذوا الحقيقة خلةً وشعارا
انضوا عوامل عقلهم فتثلمت   واستوقفوا المبغى فزاد فرارا
ظُلَمٌ ونور العقل قصَّر عن هدًى   وبغير نورك لا نشيم منارا

سورية ولبنان

(٤) الهيئة المحكومة والهيئة الحاكمة

الهيئة المحكومة — لم تكد قدماي تطآن البر في مدينة يافا حتى سمعت مرَّ الشكوى من رجال الحكومة · فمن قائل ان الرشوة لا تزال جارية مجراها · ومن قائل ان الفوضى ضاربة اطنابها · ومن قائل ان الوظائف تعطى بالصنيعة لا بالكفاءة فلم تزل الحال كما كانت في العهد الماضي · ومن قائل ان الموظفين الجدد الذين عينوا بايعاز جمعية الاتحاد والترقي قليلو الخبرة في الامور الادارية فيديرهم الذين تحتهم كما يشاؤُون او يجهلون العربية فتدار الامور حسب ميل المترجم · وسمعت مثل ذلك في حيفا وعكاء وبيروت · والمسيحيون يشكون خاصة من الشروع في تجنيد اولادهم حالاً قبلما يوجد الضباط منهم · والكل يشكون مر الشكوى من جعل المرافعات باللغة التركية واستخدام قضاة لا يفهمون العربية

ولم اكد استريح من وعثاء السفر في حدث بيروت حتى جعل اهلها يقصُّون عليَّ كيف فازوا في انتخاب عضو منهم لمجلس الادارة في لبنان بعد ان اظهر الجفاء لدولة المتصرف وكيف اظهر المتصرف ارتياحهُ لانتخابهِ لانهُ نابغة حر الفكر قوي العارضة وكيف عاد الى بيتهِ بموكب حافل لسرور حزبهِ بفوزهم · وشاهدت هناك اناساً يهتمون بالسياسة ولم اكن اتصور انها تخطر لهم ببال · ثم رأَيت مثل ذلك في كل مكان نزلتهُ في لبنان · واكثر الذين حادثوني في المواضيع السياسية رأَيتهم يشكون من المتصرف ومن مجلس الادارة ومن محاكم القضاء ومن القائمقامين ومن المديرين ومن كل رجال الحكومة · وتلوت بعض الجرائد في بيروت ولبنان فرأَيتها تردد شكوى الاهلين وتزيد عليها حتى ان من يسمع شكوى الشاكين او يقرأُ جرائدهم يحسب ان البلاد خربت او عمتها الفوضى وانتفى منها الامن · ولكنني لم ارَ شيئاً يدل على ذلك لا في احوال الناس ولا في معاملاتهم ولا بلغني انهُ حدثت حادثة واحدة جنائية في الاربعين يوماً التي اقمتها في بيروت ولبنان ودمشق تدل على فساد الاحكام · نعم وقع بعض الجنايات قبيل ذلك ولكنها ليست من فساد الاحكام وتراخي الحكام بل من حدة دم الاهلين وهي اشبه بالمبارزات الشخصية التي تحدث في فرنسا منها بسطو اللصوص للقتل والنهب الذي يحدث في بلدان أُخرى

ومن الغريب اني لم اسمع احداً يشكو من اسباب الشكوى الحقيقية اي من الاعمال التي

يناط عملها بالحكومة وهي لم تعملها حتى الآن فسكك بيروت اكثرها احافير ومهاوٍ ولم اسمع احداً يشكو منها كأنهم يحسبون وعورتها وتخربها مما لا بد منهُ . وسكك دمشق الداخلية مرصوف اكثرها بحجارة كبيرة من الزلط فتسمع للمركبات السائرة عليها قرقعة تصم الآذان وكثير منها ضيق جدًّا لا يسع الاَّ مركبة واحدة فاذا التقت مركبتان اضطرت احداها ان ترجع القهقرى الى ان تبلغ اول الشارع . وقد اعتادت الخيل ذلك على ما يظهر فتسير طرداً وعكساً على حدٍّ سوى . والكهربائية رخيصة جدًّا في دمشق لانها تتولد من غير نفقة لكن المصابيح التي نصبت في الشوارع ضئيلة النور غالباً لقدمها حتى يصح فيها قول من قال انها وضعت لتدل على الظلام . وقس عليها قناديل الغاز في بيروت فان هذه ضئيلة النور وبعيدة بعضها عن بعض . وللحكومة او للمجالس البلدية حق المراقبة على هذه وتلك ولكن لا مراقبة على ما يظهر ولم اسمع من الناس شكوى منها . وطرق المركبات قلما ترش في لبنان ولولا الامطار الجارفة التي وقعت هذا الصيف لساءت حالها جدًّا ولم اسمع احداً شكا منها . وقد اشترى اهالي عاليه نبع ماء في حمانا ليجروهُ الى قريتهم ويعطوا منهُ جانباً لسوق الغرب فقام بعض اهالي حمانا وحفروا الارض فوق النبع وتحتهُ حتى يغور ماؤُهُ او يجري في حفرهم ويضيع على اهل عاليه المال الذي دفعوهُ ولم اسمع شكوى منهم بل سمعتهم يؤَكدون ان الماء سيصل اليهم في العام المقبل ولو لم يطلعني متصرف لبنان على حقيقة الحال لبقيت احسب الامر كما قالوا

والخلاصة ان شكاوي الناس من حكامهم كثيرة ولكن حال الامن وحال المعاملات لا تؤَيدانها . واما الشكاوي الثلاث المذكورة آنفاً وهي شكوى المسيحيين من المبادرة الى تجنيد ابنائهم قبل وجود الضباط منهم وشكوى الجميع من جعل المرافعات بالتركية ومن استخدام المأمورين الذين يجهلون العربية فحقيقةٌ بالنظر ويضاف الى ذلك شكويان الواحدة شكوى اهالي لبنان من منع السفن البخارية عن مرافئهم والثانية شكوى اهالي الاقضية في الولايتين من تأليف المحاكم فيها فابسط الكلام عليها

⁂

تجنيد المسيحيين — لا مشاحة في ان الحروب من اكبر الويلات على نوع الانسان ومن آثار الهمجية الباقية الى الآن وان على كل محب لابناء نوعهِ ان يبذل جهدهُ في ابطالها ولكن ما دامت شرًّا واجباً وما دام التخلص منها ضرباً من المحال فلا سبيل الى الهرب من تجنيد الجنود واعداد معدات القتال . ولا تدفع الحرب الآن الاَّ بالاستعداد لها . والمسيحيون منتدبون للدفاع عن وطنهم كالمسلمين وهو فخر يلامون اذا احجموا عنهُ اشد اللوم . ولا تشتد

الالفة بين طوائف الامة العثمانية ما لم يشترك كل ابنائها في السراء والضراء وفي كل ما يعلي شأن الوطن

ولكن لا مشاحة ايضاً في ان كثيرين من ابناء الطوائف المسيحية قد تعلموا وتهذبوا وترفهوا وصار يصعب عليهم تحمل شظف العيش وفي ان عاداتهم مخالفة من وجوه كثيرة لعادات غيرهم من الطوائف الاخرى فاذا كان ضباطهم منهم او من الاوربيين صارت الخدمة العسكرية اسهل عليهم مما لو لم يكن الامر كذلك . ومن المرجح انهم يعظمون المصاعب الآن ومتى انتظم ابناؤهم في الخدمة وجدوها اخف مما ظنوا ولكن لا يمكن نزع ما هو راسخ في النفوس دفعة واحدة . فالتؤدة واجبة في هذه الحال . ولو عولت الحكومة المركزية على تجربة تجنيد المسيحيين اولاً في بعض الولايات التي لا يمتنع اهلوها عن تجنيد ابنائهم وتركت الولايات الاخرى على حالها القديم سنتين او ثلاثاً الى ان تظهر صحة التجربة لاصابت غرضين في وقت واحد فان دخلها من البدل العسكري لا يقل كما ينتظر ان يقل الآن ورعاياها المسيحيين يرون من الاصلاح في احوال جنودنا ما يرغبهم في الانتظام في الجندية

⁂

استعمال اللغة التركية في المرافعات — هذه الشكوى عامة ولا بد للحكومة المركزية من ان تعيد النظر وتتدارك الخطب قبل تفاقمهِ او تؤجل العمل بقرارها بضع سنوات الى ان يكثر متعلمو التركية في الولايات العربية والاَّ فانها تقيم قائمة اولاد العرب عليها وهم ليس لهم الآن جامعة تجمعهم ولكن امراً مثل هذا يجمع شملهم لا محالة لانهُ ليس اقدر على جمع الشمل من الاشتراك في محنة . ويعجبنا ما فعلهُ احد قضاة الانكليز في القطر المصري وهو انهُ طلب من كاتب المحكمة ان يكتب اقوال الخصوم والشهود كما قالوها حرفيًّا بلغتهم العامية حتى لا تخسر شيئًا من معناها ولا من قوتها بالنقل الى اللغة المعربة التي يكتب بها الكتاب عادة . فكيف يكون حال القاضي الذي لا يفهم العربية وكل اعتمادهِ على لغة الترجمان وذمتهِ . وهب ان الترجمان من اطهر الناس ذمةً فمن يكفل انهُ لا يضيع المعنى بالترجمة عن غير قصد منهُ . ومتى كثر المحامون العارفون باللغة التركية سهلت المداعاة بها

لغة المأمورين — وما قيل عن المرافعات وجهل القضاة للعربية يقال عن جهل المأمورين ايضاً لها ولكن عذر الحكومة المركزية في ذلك واضح وهو قلة المأمورين الذين يحسنون العربية واذا لم يكن لك ما تريد فارد ما يكون . ويحسن بها ان تفعل ما تفعلهُ الحكومة الانكليزية وهي ان ترغّب المأمورين في تعلم لغة البلاد التي توظفهم فيها باعطائها الجوائز لمن يتعلمها منهم

وبتفضيلهِ على غيرهِ فاذا فعلت حكومة الاستانة ذلك ووضعت نصب عينها ان تغيير لغة واسعة منتشرة مثل اللغة العربية ضرب من المحال وانهُ يصعب عليها ان تحكم ابناء العرب بالعدل والانصاف باناس يجهلون اللغة العربية لم يتعذر عليها ان تجد الحكام الاكفاء العارفين بالعربية ولو بعد بضع سنين

⁂

مرافئ لبنان - القانون الاساسي العثماني يجيز للسفن ان ترسو وتشحن وتفرغ الشحن في كل مرفإٍ فيهِ مأمور جمرك ومرافئ لبنان جامعة هذا الشرط فلا وجه لمنع السفن من الدخول اليها . ولعل شركة المرفإ في بيروت اوجست ان يقلّ دخلها بذهاب السفن الى مرفإ جونيه او غيرهِ من المرافئ اللبنانية فسعت الى اصدار هذا المنع ولكننا نرجح ان الحكومة المركزية ترى ان ذلك في غير محلهِ ما دام لبنان جزءًا لا يتجزأ من البلاد العثمانية . ثم ان السفن الاوربية اذا وجدت شحناً كافياً لها في مرافئ لبنان فانها تذهب اليها وتشحنهُ لا محالة ولا تعتد بمنع لا تعدهُ قانونياً ولا نظن ان الحكومة المركزية تقيم مشكلة دولية من اجل امر طفيف مثل هذا

⁂

محاكم الاقضية — تتألف محاكم الاقضية الآن من قاضٍ موظف ومن عضوين يختارهما اهل القضاء . ويقول الشاكون ان اهل السطوة والنفوذ يختارون هذين العضوين فيجريان في الاحكام على غرض الذين يختارونهم . ولا شبهة ان هذا المبدأ حسن جدًّا وهو ان يختار الناس قضاتهم بانفسهم فاذا افسدهُ اهالي الاقضية باختيار اناس لا ذمة لهم فاللوم عليهم لا على الحكومة . ويجب ان يصلحوا انفسهم قبل الاهتمام باصلاح حكومتهم ومع ذلك لا تعفى الحكومة من النظر في هذه الشكوى بجعل انتخاب هؤلاء الاعضاء حرًّا على قدر الامكان

ولما سمعت هذه الشكاوي وامثالها قصدت اصحاب الدولة والي بيروت ووالي سورية ومتصرف لبنان وباحثتهم فيها وفي غيرها من الشؤون المهمة وها انا مورد الآن خلاصة ما استنتجتهُ من الحديث معهم ومع غيرهم من رجال الحل والعقد . وكل ما ساذكرهُ تبعتهُ عليَّ وحدي لانني لم اطلع احداً منهم عليهِ قبل نشرهِ ولكني اعتقد انهُ لا يناقض شيئاً مما قالوهُ لي

تمهيد

تفضل دولتلو متصرف لبنان فقابلني في مصيفهِ بعاليه ودامت المقابلة ساعة ونصف ساعة فشرح لي فيها كثيراً من احوال لبنان فوجدتهُ خبيراً باموره ورجالهِ يحفظ حتى الارقام في ميزانية دخلهِ وخرجهِ ويعرف ما بين سكانهِ من المناظرات والمشاحنات ويتألم من كثرة شكاويهم لاسيما وانهُ لا يرى لها مسوغاً . ولما قلت لهُ ان الشكوى قد لا تكون دليلاً على البلوى بل على زيادة الشعور وتحسن الاحوال وقدمت لهُ الامثلة على ذلك من القطر المصري ووصفت لهُ حال البلاد كما كانت لما فارقتها منذ خمس وعشرين سنة وحالها الآن ابرقت اسرتهُ وظهرت عليهِ امارات الرضى والسرور وجعل يشرح لي ما فعلهُ للبنان وما يشكو منهُ كما سيجيء

وتفضل والي سورية دولتلو اسمعيل فاضل باشا فقابلني في سراي الحكومة بدمشق وكانت المقابلة يوم جمعة فاتى السراي لهذه الغاية ودامت المقابلة اكثر من ساعة . ورد لي الزيارة في النزل الذي كنت فيهِ وزارت عائلتي عائلتهُ فسرَّت سروراً لا مزيد عليهِ بما لقيتهُ من حضرة حرمهِ ثم زرتهُ مودعاً وكنا في هذه الزيارات نتذاكر في امور الدولة بنوع عام وامور سورية بنوع خاص فوجدتهُ متوقداً غيرةً على مصلحة دولتهِ جامعاً بين الرقة والحزم عازماً ان يقوم بمهام الولاية مهما كانت شاقة وان يستعمل اللين اولاً فان لم يجدِ نفعاً فالشدَّة . والناس لا يجهلون مصلحتهم ولكنهم لم يروا من تصرف الحكومة معهم في العهد الماضي ما يحملهم على الثقة بها فاذا ثبت لهم الآن ان الحكومة الدستورية مخلصةٌ ومهتمة بما يرقيهم ويعلي شأنهم انقادوا اليها عن طيب نفس

ولا يخفى ان دولتهُ جندي باسل فلا ينتظر ان يكون واسع الخبرة في الامور الادارية ولكن الرجال الذين يعتمد عليهم واسعو الخبرة جدًّا واخص منهم ثلاثة تحدثت معهم وهم حضرات الدفتردار والمكتوبجي ومدير الامور الاجنبية ولا بد من ان يكونوا اكبر عضد لهُ . ثم ان السوريين عموماً قد برهنوا في ما مضى على انهم يستطيعون ان يتقدموا ولو كانت حكومتهم ضدهم فلا يعقل انهم يقفون عن التقدم والحكومة غير واقفة في سبيلهم بل مؤيدة لهم ولذلك لا يحتاج واليهم الى دهاءٍ سياسي غير عادي لسياستهم . اما اهالي الجهات القاصية كحوران ونحوها فيحسن برؤَسائهم ان يجربوا الثقة بالحكومة والانقياد لها الآن فيروا من عدلها وانصافها غير ما اعتادوهُ . قيل لي ان جماعة منهم ابوا الانقياد فارسل اليهم الوالي مأموراً ومعهُ نفر من الجند وامرهُ ان يطلب منهم الطاعة والاَّ فيهددهم باطلاق النار عليهم ويطلقها

فعلاً اذا اصروا · وعليهِ ان يعود بجنودهِ حالما يتم مأموريتهُ سواء اطاع اولئك العصاة سلماً او حرباً حتى لا يثقل عليهم · فذهب المأمور بجنودهِ وطلب من العصاة الطاعة فابوا فامر الجنود ان يصطفوا ويسددوا بنادقهم فلما رأى العصاة ذلك اطاعوا قبل ان تطلق عليهم بندقية وللحال رجع الجنود عنهم من غير ان يثقلوا على احد منهم · فحادثة مثل هذه لا بد من ان تؤثر اعظم تأثير في البلاد المجاورة

وتفضل والي بيروت دولتلو ناظم باشا فقابلني في بيتهِ مقابلة خصوصية · ذهبت اليهِ مهنئاً بعيد الفطر وشاكراً اهتمامهُ بامر عائلتي فانهُ لما بلغهُ ان المركبة انقلبت بها قرب صوفر بعث اليَّ بطاقة تركية العبارة يقول فيها ما ترجمتهُ « ان الحادث الفجائي الذي بالعون الصمداني كانت نتيجتهُ السلامة قد افعم فؤادي سروراً فمع كمال الشكر والحمد اظهر لكم حاساتي الخالصة » · ثم رد اليَّ دولتهُ الزيارة وتناول الشاي مع عائلتي ودعيت معهُ للعشاء في دار صاحب السعادة سليم بك ايوب ثابت وابن عمهِ الخواجه فسطنطين نعمه ثابت وطال الحديث مع دولتهِ في المرات الثلاث عن احوال بيروت والبلاد السورية بنوع خاص وعن احوال السلطنة بنوع عام · وهو الوالي الذي حمى الاحرار في زمن الاستبداد على ما بلغني · وعلمت ممن اثق بهِ ان سفراء الدول شهدوا لهُ بان مذابح الاستانة لم تكن بامرهِ ولا برضاهُ بل كانت على ضد ارادتهِ وانهُ بذل جهدهُ في منعها خلافاً لما يتهمهُ بهِ خصومهُ

والولاة الثلاثة يحسنون الفرنسوية ويكثرون من استعمال الفاظها في التركية اذا تكلموا بها واولادهم يتكلمون الفرنسوية ايضاً وقد وقع نظري عرضاً على دفتر لابن ناظم باشا وهو فتىً في نحو الثانية عشرة من العمر فرأيتهُ قد كتب فيهِ دروسهُ الجبرية باللغة الفرنسوية وما كتبهُ آية في جودة الخط ودقة العمل الرياضي ورأيت ناظم باشا مهتماً بتعليم بناتهِ اللغة الانكليزية مع الفرنسوية

آتي بعد هذا التمهيد على بعض ما علق بذاكرتي من الاحاديث مع هؤلاء الولاة ورجالهم

متصرف لبنان

رأى متصرف لبنان ان اجور مأموري الحكومة لم تزل على ما كانت عليهِ حين كانت لوازم المعيشة رخيصة جدًّا والجبل في حالة الفقر المدقع · ومعلوم ان قلة راتب المأمور تجربة كبيرة في سبيل الارتشاء فلا يهون عليهِ ان يرى بيتهُ عارياً من الاثاث وزوجتهُ واولادهُ دون امثالهم في اكسيتهم واطعمتهم ثم تعرض عليهِ مئة جنيه رشوة فيرفضها · ولذلك اهتم بزيادة

اجور رجال الحكومة كلهم من اعضاء مجلس الادارة الى انفار الجندرمة فضاعف رواتب اعضاء المجلس . كان راتب العضو منهم الف غرش في الشهر فجعلهُ الفين وحبذا لو استطاع ان يجعلهُ ثلاثة او اربعة لانهم مضطرون ان يقضوا وقتهم كلهُ في خدمة الحكومة وان يقيموا فصل الصيف في مكان وفصل الشتاء في مكان آخر وقد لا يكون لهم دخل يعتمدون عليهِ غير راتبهم . وضاعف ايضاً رواتب القضاة كلهم وزاد اكثر من ثلاثين في المئة على رواتب سائر المأمورين وزاد عدد انفار الجندرمة من ٨٢٠ الى ٩٤٠ وكان راتب النفر ١٥٠ غرشاً فجعلهُ ٢٠٠ غرش في الشهر وزاد رواتب ضباطهم على هذه النسبة وبلغ مجموع الزيادات نحو ٨٠٠٠ ليرة في السنة . واراد في اول الامر ان يزيد مال الاعناق ومال الاملاك لكي يجد المال اللازم لهذه الزيادات فقاومهُ اهل البلاد فعدل عن ذلك واهتم بضبط الايرادات غير المقررة كرسوم المحاكم والتسجيل (التصديق) وتذاكر السفر وما اشبه وتسمى عندهم بالمهمولات فوجد المال المطلوب لزيادة الرواتب

وهو يعترف ان لبنان محتاج الى اصلاحات كثيرة فطريق دمشق يحتاج الى ترميم واصلاح مستمر وقد بذل جهدهُ في جعل حكومة الاستانة توافقه على ذلك . وسائر طرق لبنان تحتاج الى زيادة الاعتناء في رصها وترميمها ولا بد من انشاء طرق كثيرة غيرها وتعميم المنافع العمومية كالبوستة والتلغراف . لكن يصعب تدبير الاموال اللازمة لذلك مع ان ما ينفق في هذا السبيل بمثابة رأس مال يزيد بهِ دخل اهالي لبنان وتزيد راحتهم ورفاهيتهم وتقل نفقاتهم . فاذا فرضنا ان في لبنان الآن نحو عشرة آلاف دابة من دواب الحمل والنقل بين جمال وخيل وبغال وحمير وانهُ يقتصد من قوة كل دابة منها في اليوم ومن عليقها غرشان اذا سارت على طريق ممهد بدلاً من السير على طريق وعر كثير العثرات وانها تعمل ٢٥٠ يوماً في السنة فيكون الوفر السنوي من كل دابة ٥٠٠ غرش ومن عشرة آلاف الدابة خمسين الف ليرة . وهذا التعديل يقل عن الحقيقة ولا يزيد عليها ناهيك عن انهُ اذا أُصلحت الطرق كلها تضاعف حمل الدواب ضعفين او ثلاثة لان احمالها تصير توضع في عربات بدلاً من ان تحملها على ظهرها . ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد الكبير

ثم ان اصلاح الطرق وفتح مكاتب البوستة والتلغراف في كل قرية كبيرة يزيد عدد المصطافين وتربح البلاد منهم الآن ربحاً طائلاً لان نفقات العائلة المصطافة لا تقل عن مئة ليرة في فصل الصيف وقد تبلغ ثلثمئة او اربع مئة او اكثر . فاذا اخذنا اقل النفقات وهو مئة ليرة وحسبنا عدد العيال المصطافة في كل لبنان من سورية ومن غيرها خمسة آلاف عائلة

فالاموال التي ينفقونها في الجبل تبلغ نصف مليون ليرة واذا تسهلت كل وسائل الراحة فلا يبعد ان يتضاعف عدد المصطافين فيتضاعف المال الذي ينفقونهُ

ثم ان طرق لبنان ينفق على انشائها الآن المكلفون من ابنائهِ لا غير واما اصحاب الاملاك الواسعة فيهِ من اهالي بيروت فلا ينفقون غرشاً في هذا السبيل مع ان املاكهم تربح ربحاً طائلاً من انشاء الطرق واصلاحها بارتفاع اثمانها وسهولة نقل حاصلاتها اذا كانت ارضاً وبغلاء ايجارها اذا كانت بناء . فنظام لبنان مختل من هذا القبيل فيجب اصلاحهُ . وليس مرادي إعنات اصحاب الاملاك بل الاستعانة بهم على ما لا بدَّ منهُ خدمةً لمصالحهم ومصالح غيرهم . وقد ظهر لي ان دولة المتصرف يحجم عن امر مثل هذا لانهُ يعلم ما يجرُّ اليهِ من القلاقل ولكن ان احجم هو فاهالي لبنان انفسهم واصحاب الاملاك فيهِ يجب عليهم ان لا يتغاضوا عن مصلحتهم ويجب على الجرائد ان تنهض هممهم . وياحبذا لو استعان دولتهُ بجرائد لبنان وبيروت على ارشاد الرأي العام كما فعل رجال الحل والعقد في مصر فقد اخبرت دولتهُ بما فعلتهُ الجرائد المصرية في امر الكتاتيب فانها حركت غيرة الامة كلها حتى فعلت العجائب . ولا يزال سعادة ناظر المعارف المصرية يستعين بالجرائد وذلك بنشر كل ما يجدُّ عن الكتاتيب لكي يغار المحسنون بعضهم من بعض ويقتدي بعضهم ببعض

وجملة القول ان الاربعين الف الليرة او نحوها التي كفت حكومة لبنان وادارتهُ منذ خمسين سنة لا تكفي الآن ولا بد لهُ من مئة الف ليرة على الاقل . والحصول عليها ليس بالامر العسير اذا اعيد مسحهُ ولا يستلزم أن يزاد غرش واحد على الاملاك التي كانت عامرة في زمن المسح الاول ودفعت قسطها بالعدل . وكل ما فيهِ من الصعوبة ان زمن المسح الجديد يطول وقد يستغرق سنتين او اكثر ونفقاتهِ غير قليلة ولكن لا تتعذر استدانة النفقات اللازمة لهُ الى ان يتم المسح وتوضع الضرائب على كل الاملاك عقارات كانت او مسقفات حسب ريعها وعلى الاراضي البور الصالحة للزراعة

وكذلك لا بد من تعميم البوستة والتلغراف في كل انحاء الجبل ومن جلب الماء الى القرى المحرومة منهُ او التي هو قليل فيها . وحبذا لو ربطت مراكز الحكومة كلها بالتلفون كما في القطر المصري وكما في بلاد الحبش

ولا بدَّ للحكومة اللبنانية من اخذ الامور بالحزم فاذا ثبت لها نفع شيء من الاشياء وجب ان تجري فيهِ ولا تحجم عنهُ امام المعارضة لان في البلاد فئة تطمع في الوظائف فتنتقد اعمال الحكومة مهما كانت لكي تضطر المتصرف الى مراضاتها . وحبذا لو تمكن دولتهُ من جعل

وظائف المأمورين ثابتة فلا يعزل مأمور الآ لذنب يقتضي عزلهُ بعد المحاكمة كما هو جارٍ في القطر المصري فيبطل هذا الطمع في الوظائف

وقد ابنت لدولتهِ ان رجال الاصلاح في مصر كانوا يلقون من المقاومة مثلما يلقى هو في لبنان لكنهم لم يعبأُوا بها ولولا ذلك لما اصلحوا القناطر الخيرية ولا بنوا خزان اصوان ولا عملوا عملاً كبيراً من الاعمال التي عملوها وعادت على البلاد بالنفع · وقد كان اصحاب الاطيان يرشون المهندسين لكي يبعدوا خطوط السكك الحديدية والسكك الزراعية عن اطيانهم اما الآن وقد رأَوا نفعها فصاروا يرشونهم لكي يخططوها ضمن اطيانهم · فوافقني دولتهُ على ذلك كلهِ · وعسى ان لا يرى من وجهاء لبنان الآ كل ما يشد ازرهُ في ما ينويهِ لهُ من الاصلاح

والي سورية

والي سورية صاحب الدولة الفريق اسمعيل باشا فاضل قدم دمشق منذ عهد قريب فقد التقيت بهِ في بيروت يوم وصولهِ اليها في ١٠ سبتمبر الماضي وصعد الى دمشق في اليوم التالي فاختبارهُ لولايتهِ قليل ولكن الرجل الواسع الخبرة لا يصعب عليهِ ان يحكم حكماً صائباً من اول نظرة · وقد سألتهُ كيف وجد سورية بالنسبة الى سائر الولايات العثمانية فقال ان ما رآهُ حتى الآن منها يحملهُ على الحكم بانها متقدمة اكثر من كل الولايات العثمانية ما عدا سلانيك. وهو في قولهِ سورية يعني ما رآهُ من ولايتي سورية وبيروت او البلاد السورية عموماً · ثم ان ما رآهُ من همة السكان يحملهُ على الاعتقاد انهُ اذا استتب الامن والعدل في هذه البلاد فاقت سلانيك في وقت قصير · وسألتهُ عما رآهُ من قبول اهالي الشام للحكومة الدستورية فاجاب انهُ يرى العامة راضين كلهم وكذلك اكثر الخاصة · ولا يعقل ان الناس يرون صلاح الحكومة الدستورية ومزاياها الكثيرة ويبعدون عنها الى ان قال · نعم يقال ان العرب يودون الاستقلال والانفصال عن سائر العثمانيين ولكن كل من يتأمل احوال البلاد العربية الآن يرى ان اهاليها من ابعد الناس عن ادارة الملك لانقسامهم ولما حلَّ ببلادهم من التأخر والذين يسمون انفسهم عرباً من اهالي الشام والولايات التي تتكلم العربية اكثرهم ليسوا من الجنس العربي · واستطردنا الحديث الى اللغة العربية فقال لا صحة لما يقال من ان الاتراك يودون اماتة اللغة العربية بوجه من الوجوه فانهم يعلمون انها لغة دينهم وكتابهم ولا تستغني عنها لغتهم هذا فضلاً عن ان اماتة لغة يتكلمها ملايين من الناس في كل الاقطار

امر مستحيل لذاتهِ . ولا يتهم الاتراك هذه التهمة الاَّ الذين يريدون ان يصطادوا في الماء العكر او الذين خسروا مزاياهم الماضية ويودون انتقاض الحكومة الدستورية ليعودوا الى مفاسدهم السابقة ومن هؤلاء لا من سواهم يخشى الضرر . اما جمهور الشعب فعلى غاية الخضوع والصلاح

ثم اخبرني كيف جال ليلاً متنكراً وسمع احاديث العامة في مجالسهم وقهاويهم فرآهم قريبين من الصلاح بعيدين عن الشر لا يحتاجون الاَّ الى من ينصح لهم فينقادون لنصحهِ

وفهمت منهُ ان غرض الحكومة الدستورية الحاضرة ان تكون سياسية محضة وان تترك لارباب الدين الاهتمام بالامور الدينية لاسيما وان رعاياها من اديان مختلفة اسلامية ومسيحية ويهودية ولكل دين منها مذاهب شتى فيتعذَّر على الحكومة ان تكون دينية وترضي الجميع على حد سوى ولكن لما كانت مرتبطة باجراء بعض العادات الدينية وكان ابطال هذه العادات مما يتعذر اجراؤهُ دفعة واحدة فلا بد لها من التدرج في ذلك تدرجاً . والظاهر انهُ ابطل الولائم التي كانت تولم في شهر رمضان لانها ليست من الفروض الدينية ولان نفقاتها كثيرة وفوائدها قليلة وهي ليست من خصائص رجال الحكومة

وبيَّن انهُ عازم على استعمال اللين في كل الامور والاقناع بالحسنى فان لم يجدِ اللين والاقناع نفعاً فلا بد من الالتجاء الى القوة وامرها سهل عليهِ لانهُ جندي محنك

وبلغني انهُ يشتغل بامور الولاية نهاراً وليلاً وينظر في كل المسائل الهامة . وقد انعم الله عليهِ بزوجة من نوابغ النساء وفضلياتهن فتساعدهُ في افكارهِ وتوجد البهجة والسرور في بيتهِ . ولا يخفى ان ذلك اكبر مساعد لاصحاب الاشغال المهمة على تدبير اشغالهم . وهو بشوش الوجه انيس المحضر على غير ما ينتظر من قواد الجيوش عادة

والي بيروت

والي بيروت دولتلو حسين ناظم باشا اشهر من نار على علم وهو من اخبر الناس بشؤون الولايتين سورية وبيروت وشؤون السلطنة عموماً وقد اخبرني انهُ بدأ الاشتغال محرراً في جريدة ورأى السلطان السابق حرية افكارهِ وبلاغة قلمهِ فاستدعاهُ اليهِ وصرفهُ عن التحرير . ولما عين لولاية سورية طلب ان تعطى الحرية التامة لجرائدها وبيَّن للدولة ان ذلك من افضل الطرق للاصلاح فكانت النتيجة ان الحكومة الحميدية اوجست منهُ خيفة ووبختهُ علي ما فعل وشددت المراقبة على المطبوعات بنوع عام وعلي الجرائد بنوع خاص

وقد ظهر لي من الحديث معهُ انهُ يرى ما يراهُ كل خالي الغرض محب لمصلحة العثمانيين وهو انهُ لا بد للقضاة من معرفة العربية وان تكون المرافعات بها في كل البلاد التي لغة اهاليها العربية · وهو ينوي ان يبذل جهدهُ في عمل كل ما يلزم من الاصلاح لمدينة بيروت · ولا يزال اهالي دمشق يذكرونهُ بالشكر لما اتمهُ في مدينتهم من الاعمال النافعة حتى الناقمون عليهِ منهم ففي عهدهِ انشئت سكة الحجاز وهو الذي اعاد بناء ما احترق وتهدم من الجامع الاموي ولم يستخدم لذلك غير الدماشقة وهو الذي بني سراي الحكومة وغيرها من المباني العمومية وانشأ شارعاً كبيراً بنيت البيوت الكبيرة على جانبيهِ وانشأ في آخرهِ منتزهاً على نفقتهِ الخاصة

ويظهر لي انهُ يكرم الصحافة ويقدرها قدرها ويعلم نفعها للبلاد ولا غرابة في ذلك لانهُ كان صحافياً ولا يزال يفتخر بذلك · قال لهُ بعضهم على مسمع مني ان المقطم اقام عليك النكير لما سجنت فلاناً فقال نعم وقد ارتفعت منزلتهُ في عيني من ذلك الحين لاني رأيتهُ يقوم في وجهِ الولاة ولا تأخذهُ في الحق لومة لائم اما انا فسجنت فلاناً اطاعة لامر لم يكن في طاقتي ردهُ ولذلك فاني أهنئ المقطم بانهُ كان نصير الحرية في زمن الاستبداد

وهو عصبي المزاج شديد التأثر والظاهر ان وفاة ابنتهِ وكانت من نوابغ الفتيات اثرت فيهِ تأثيراً شديداً جداً فقد رأيت الدموع تجول في عينيهِ اذ حدث امرٌ ذكرهُ بها · وعلمت انهُ يجول في شوارع بيروت ليلاً متخفياً ليقف على احوال الامن وقد ابطل اطلاق البارود مطلقاً · ويرى الفضل للاوربيين في خدمة البلاد العثمانية بمدارسهم وقد سمعت الثناء العطر عليهِ من رئيس المدرسة الكلية السورية الاميركية لما اظهرهُ من الاهتمام بامرها · ورأيت الطمأنينة مستولية على بيروت حتى في ايام العيد التي تكثر فيها الضوضاء عادة ولم ارَ من احد ما يسوء ذكرهُ حتى البحارة رأيت منهم لطفاً وانساً غير عاديين

واذا طالت اقامتهُ في بيروت كما يرجو اهاليها وساعدهُ مجلساها البلديان على انفاذ ما يريدهُ لها من الاصلاح زالت منها الشوائب التي تشوب محياها الآن ولكن لا يبعد ان ترى الحكومة الدستورية شدة حاجتها اليهِ في الاستانة العلية لتستفيد السلطنة كلها من واسع اختبارهِ

(٥) مدنهما

حسب البعض من الذين قرأُوا رسائلي السابقة انني كثير التفاؤُل بالخير نظرت الى الحسنات في سورية ولبنان واغضيت عن السيئات وراقتني الظواهر فغفلت عما تحتها من عوامل الخراب . ولكن لو وقف الذين يقولون هذا القول موقفي ورأُوا البلاد منذ خمسة وعشرين عاماً وامعنوا نظرهم حينئذٍ في احوالها المعاشية والاجتماعية وعادوا اليها الآن وقابلوا ماضيها بحاضرها وحكَّموا العقل والروية لرأوا ما رأَيت وحكموا بما حكمت

ولا يخفى ان المسائل العمومية لا يؤْخذ فيها بما يصيب البعض من نفع او ضرر وربح او خسارة بل بالنتيجة العمومية مما يلحق مجموع السكان . فان كثيرين من اصحاب البيوتات القديمة ضعف شأْنهم وتقدم عليهم الذين كانوا دونهم بل لا يندر ان ترى الآن خادماً صار اغنى من سيدهِ واجيراً امتلك ما كان لمؤْجرهِ فلا عجب اذا شكا ذلك السيد وهذا المؤجر من تغير الحال وانذرا بسوء المصير . ولكن ثروة البلاد لم تقل بانتقال الاملاك من زيد الى عمرو ومن خالد الى بكر بل زادت لان عمراً وبكراً جلبا مالاً اعطياهُ لزيد وخالد بدل املاكهما فزادت ثروة البلاد بسعيهما

الاَّ ان البعض سأَلوني هل رأَيت في البلاد مصادر ثروة حقيقية ثابتة يمكن الاعتماد عليها وهل تدل حالة مدنها على ذلك فاجيب انني اشرت الى هذا الموضوع في الكلام على معايش السكان ولم يفتني الانتباه لهُ وانا في سورية ولبنان فكنت اذا دخلت مخزناً اسأَل عن اثمان البضائع ومصادرها والاماكن التي تباع فيها وهل يشتري الناس نقداً او ديناً وكم يهلك من الدين . واذا رأَيت اثاثاً في دار او دكان اسأَل عن المعمل الذي صنع فيهِ واذا دخلت معملاً لا التفت الى زخرفة مصنوعاتهِ بل اسأَل عن مقدار ما يصنع منها في السنة والاماكن التي تباع فيها وربح المعمل منها وموادها الاصلية . واذا مررت في الشوارع التفت الى البيوت القديمة والجديدة اقابل بينها ولاسيما في الاحياء التي عرفتها من قبل . وقد كانت الفرصة قصيرة جدًّا لم تمكني من الوقوف على عشر ما أُريد الوقوف عليهِ ولكن ما رأَيتهُ وما سمعتهُ يكفيان للحكم الاجمالي . واذ قد تمهد ذلك اذكر بعض ما يناسب المقام عن مدن سورية ولبنان

⁂

بيروت — بيروت اكبر الثغور السورية اتسع نطاقها على اثر الحرب الاهلية التي نشبت في

لبنان سنة ١٨٦٠ وعمت جانباً كبيراً من سورية فان كثيرين من المنكوبين لجأُوا اليها حينئذٍ واستوطنوها والاموال التي جمعت لمساعدتهم من اوربا واميركا والتي اعطتهم اياها الحكومة العثمانية تعويضاً انفقوا اكثرها في بيروت فاتسعت تجارتها وزادت عمارتها وكثر سكانها . كان سكانها يقدرون حينئذٍ بنحو اربعين الفاً وهم الآن نحو مئة واربعين الفاً

واكثر اعتماد اهالي بيروت على التجارة فهم تجار سورية يجلبون وارداتها ويرسلون صادراتها . وبيوتهم التجارية منتشرة في عواصم اوربا وبر الاناضول والقطر المصري . وتبلغ قيمة صادراتهم في السنة نحو مليون جنيه اكثرها من الحرير وقيمة وارداتهم نحو مليوني جنيه فيدفع الفرق بين ثمن الوارد والصادر من اموال المهاجرين والسياح والمصطافين . واذا ضبطت قيمة الصادر والوارد فلا يبعد ان تزيد على ذلك كثيراً . وقد تعزز مركزها التجاري بانشاء المرفإِ فيها ووصول سكة الحديد اليها ولكن هذا المركز يهدد الآن بانشاء مرفإٍ في حيفا ومد سكة الحديد من حلب الى طرابلس . ولا بد لتجار بيروت من ان يجمعوا كلمتهم على ما يحفظ شأن مدينتهم

والصناعة الكبيرة ضعيفة في بيروت لان ليس فيها قوة مائية فتضطر ان تستخرج القوة من الفحم الحجري الذي يجلب اليها من اوربا . واكبر معمل صناعي فيها معمل النجارة وعمل الاثاث المعروف بمعمل السيوفي وهو مثل اكبر معامل النجارة في اوربا تصنع فيهِ الخزائن والمغاسل والموائد والكراسي وما اشبه والغالب انها تصنع من خشب الجوز او من غيرهِ من الاخشاب الغالية وتنقش وتحفر وتطعم . وتصنع فيهِ ايضاً الابواب والشبابيك ونحوها. واكثر مصنوعاتهِ من الاثاث وهو يعتمد على الآلات البخارية في ما يمكن عملهُ بالآلات وعلى مهارة الصناع في ما يصنع باليد ففيهِ آلة بخارية قوتها ستون حصاناً وآلات كثيرة لكل نوع من العمل بين مناشير ومخارط ومثاقب ومقاشط ومطارق ومجالي وكلها تتحرك بسرعة فائقة بقوة البخار وتغني عن الوف من العمال ومع ذلك يبلغ عدد العمال فيهِ اربع مئة

ولا شيءَ ادق من الآلات اذا اريد الانتظام مع الدقة . رأيت قطع الخشب توضع في الآلة التي تصنع ارجل الكراسي فتخرطها وتضلعها وتخرجها متشابهة متماثلة تماماً في كل شيءٍ كانها افرغت في قالب واحد وقس على ذلك سائر القطع التي تتركب منها انواع الاثاث

واما النقوش من اوراق وازهار وشرائط وطيور وملائكة وما اشبه فيصنعها الحفارون بايديهم بعد ان يرسمها الرسامون

وكل الاخشاب التي يصنع منها الاثاث في هذا المعمل تجفف اولاً في فرن ينتزع الرطوبة

منها فيمتنع تشققها والتواؤُها اذا جفَّ الهواء او ترطب

والعمال في هذا المعمل وطنيون كلهم وبينهم بنات يعملن الاعمال اليدوية الدقيقة ويدهنَّ الخشب ويبردخنهُ . واكثر الاخشاب يؤْتى بها من بر الاناضول فالعمل وطني بموادهِ وصناعهِ . وتباع مصنوعاتهُ في ولايتي بيروت وسورية وفي جبل لبنان ويرسل منها الى حلب فترى البيوت والدكاكين مزدانة بالخزائن والموائد والكراسي والمرايا من عمل هذا المعمل وهي مثل ما يؤْتى بهِ من الاثاث الاوربي لانها تتبع الاشكال الاوربية في الغالب . ويا حبذا لو اهتم باعة الاثاث في مصر بجلب بضاعتهم من هذا المعمل بدلاً من جلبها من اوربا لا تنشيطاً للصناعة الوطنية لان كلمة تنشيط لا معنى لها في التجارة بل لان مصنوعات هذا المعمل مثل مصنوعات اوربا اتقاناً وامتن منها وارخص

والظاهر ان ربح هذا المعمل كان قبل اعلان الدستور اكثر منهُ الآن لان البلاد لا تزال مضطربة ولان صاحبهُ وسَّعهُ كثيراً ولكن لا بد من رد الفعل حالما تطمئن الخواطر فيزداد ربحهُ بازدياد الثروة العمومية التي تنتج عن استتباب الامن واجراء العدل

وفي بيروت معمل آخر عمالهُ من النساء والبنات وهو لحبك الخَرْج والدانتل وما اشبه وقد اخبرني مديرهُ انهُ باع من مصنوعاتهِ في اميركا في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة ما ثمنهُ خمسون الف ريال اي عشرة آلاف جنيه

وفيها معامل للمركبات ومعمل للطيوب ومعمل للادوية ولكن هذه المعامل كلها واشباهها لا تجعلها مدينة صناعية بمعنى انها تصدر مقداراً كبيراً من مصنوعاتها حتى اذا ضعف مركزها التجاري تجد في الصناعة ما يسد مسد التجارة لان الصناعة الكبيرة لا تفلح في هذا العصر الاَّ اذا كانت القوة رخيصة وليس في بيروت ولا حولها فحم حجري لاستخراج القوة منهُ ولكن على مقربة منها قوى مائية كثيرة فشلال جزين تبلغ قوتهُ ثلاثة آلاف حصان على ما اخبرني حضرة مهندس سورية السابق بشاره افندي وماء نهر ابرهيم تزيد قوتهُ على ذلك فهل يقوم من اهالي بيروت رجال ذوو همة واقدام يحولون هذه القوة الى كهربائية ويأتون بها الى مدينتهم لانشاء المعامل الصناعية فيها . ذلك مرهون بالمستقبل

اما الصناعة الصغيرة اليدوية كالصياغة والنحاسة والحدادة والنجارة والدباغة والخياطة والسكافة وما اشبه فشائعة في بيروت وفي كل مدن سورية وقراها والصناع ماهرون جدًّا في صناعاتهم حتى لا تكاد البلاد تحتاج الى شيء من المصنوعات الاجنبية الاَّ ما رخَّصت المعامل الكبيرة عملهُ فكف الصناع الوطنيون من المناظرة فيهِ . وفي لبنان مناجم غنية من الحديد وتراب

صالح للخزف ورمال الساحل صالحة لعمل الزجاج ويقال ان فيهِ فحماً حجريًّا جيداً فاذا ثبت ذاك فلا يبعدان تنشأ في بيروت وحولها معامل كبيرة للمصنوعات الحديدية والخزفية والزجاجية ومعامل لنسج الحرير

وصناعة الادب رائجة في بيروت فترى علماءها وادباءها يحررون الجرائد ويؤلفون الكتب وانديتها الادبية حافلة بالادباء والفضلاء · ولم يكن فيها قبل الدستور من الجرائد اليومية غير اثنتين فكثر عددها الآن ولكن قلما تصلها الاخبار اليومية من اقطار المسكونة كما تصل الجرائد المصرية

ولاهالي بيروت املاك واسعة في ساحل بيروت وجبل لبنان فانهم حلُّوا محل الامراء الشهابيين فيها ولبعضهم املاك كثيرة في هذا القطر ايضاً وهذه الاملاك كلها من جنائن وبساتين وحراش ومباني لها ريع كبير لكن ملاَّكها قليلو العددِ · ولا يزال في ضواحي بيروت قليل من بساتين التوت لتربية دود الحرير ويقال بالاجمال ان ربح اهالي بيروت من الزراعة قليل وخاص ببعض اغنيائها فلا يعتد بهِ

ومن حسنات الدهر ان بيروت صارت داراً للمدارس كما كانت في عهد الرومان واشهر مدارسها المدرسة الكلية السورية الانجيلية التي انتشر تلامذتها في اقطار المسكونة يعلمون ويطببون ويتولون الاعمال الكبيرة سياسية وادارية وتجارية · وقد اتسع نطاقها منذ خمس وعشرين سنة الى الآن اتساعاً لا مثيل لهُ فزاد عدد تلامذتها واساتذتها اكثر من عشرة اضعاف وزيدت مبانيها على هذه النسبة · ولا شبهة في انها من اقوى دعائم الارتقاء العقلي والادبي وحرية الفكر والبحث في المملكة العثمانية · وفيها المدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة وكلية القديس يوسف ومدارس كثيرة للبنات وكلها كثيرة التلامذة من سورية ومن القطر المصري ايضاً

والمعاملات التجارية في بيروت على ما يرام فلا يضيع غرش على تاجر ولا يخشى احد من ضياع امواله · وقد ارتفعت اثمان الاراضي واجور البيوت والمخازن لكثرة الطلب عليها ولتوفر النقود · والناس في سكينة وطمأنينة حتى البحارة صاروا على جانب من الدعة ولين العريكة

اما حالة بيروت الهندسية فعلى اسوإ ما يكون فان عدد سكانها اكثر من عدد سكان جنيفا مثلاً وموقعها الطبيعي اجمل من موقع جنيفا ولعلهُ اجمل موقع في الدنيا ولكن شتَّان بينها وبين جنيفا في سعة الشوارع والساحات والمتنزهات وجمال المباني التي حولها بل شتان بينها وبين بورت سعيد وسكانها لا يبلغون ثلث سكان بيروت وما بيروت من هذا القبيل الاَّ قرية

كبيرة · نعم أُقيمت فيها مدة غيابي مباني كثيرة ولكنها مثل مبانيها السابقة الاَّ بناء اوروزدي باك الالماني فانهُ يعد من المباني الفاخرة اينما كان و برج الثكنة العسكرية وسبيل عصور فانهما من المنشئات الهندسية الجميلة ولكن شوارع بيروت لم تزل على حالها او زادت تحفراً · ولا تصلح هذه المدينة باقل من ثلثمئة الف جنيه تفتح بها الشوارع الواسعة وترصف بالحصى والقطران وتقام لها المماشي على جوانبها · واذا كان هذا المال غير ميسور وجب ان يستدان ثم يوفى اقساطًا من عوائد الاملاك والشرفيات(١) وتصنع للمدينة خريطة منظمة يجرى عليها في المستقبل ولا يحاد عنها ولا يسمح ببناء بيت على شارع عمومي الاَّ اذا كان منطبقًا على رسم معلوم · فاذا اصلحت على هذه الصورة صارت مشتى لاغنياء سورية ولكثيرين من اغنياء اوربا وربحت منهم ربحًا طائلاً

دمشق — دمشق اكبر مدن سورية واقدمها بل اقدم مدن المسكونة الباقية الى الآن · عُرفت بهذا الاسم في كل اللغات القديمة فهي بالعبرانية دمسك وبالمصرية تمسكو وبالاشورية دمسكي وكفى بذلك دليلاً على قدمها · وهي الآن مركز ولاية سورية وقد كانت دار الخلافة في عهد بني امية وعاصمة ملوك كثيرين من قبلهم ومن بعدهم لكن لم يبقَ فيها من مبانيها القديمة الاَّ الجامع الاموي والقلعة واثار السور القديم والدرب المستقيم وسأعود الى وصف هذه الآثار في فرصة اخرى

والمدينة زراعية صناعية تجارية وقد كانت كذلك من قديم الزمان فطمع بها الغزاة واجتاحوها مراراً كثيرة وحلَّ بها من الرزايا ما خرَّب الممالك وعفا آثارها اما هي فكانت تنهض بعد كل رزيئة وتسترجع مجدها السالف الى ان فتحت ترعة السويس وحوَّلت طريق التجارة عنها

تحيط بها الغوطة المشهورة جنائن اثمار وفواكه وخضر وبقول مساحتها نحو اربعين الف فدان ويتصل بها سهل فسيح تجود فيهِ الحبوب على انواعها لا تقل مساحتهُ عن مئة وخمسين الف فدان · وقد لا يقل ريع الغوطة والسهل عن مليون ونصف من الجنيهات وفي دمشق وضواحيها نحو ثلثمئة الف نفس فيصيب النفس منهم خمسة جنيهات في السنة وهو كسب كبير يساوي كل ما يكسبهُ الواحد من السكان في القطر المصري في سنتهِ

---

(١) اذا فتح شارع في بيروت فالذين يقع عليهم ضرر من فتحهِ يأخذون عوضًا والذين يستفيدون من فتحهِ يدفعون شيئًا من المال مقابل ما استفادوهُ يسمى شرفية · وهو اسلوب عادل وحبذا لو اتبع في القطر المصري

وقد اشتهرت دمشق من قديم الزمان بانها مدينة صناعية حتى ان بعض المصنوعات تسمى بالنسبة اليها في اللغات الاوربية كالسيوف الدمشقية والمنسوجات الدمشقية. وطالما نقل الغزاة الصناع منها الى عواصمهم ففقدت بهم بعض صناعاتها القديمة ولكنها لم تزل داراً لكثير من الصنائع · وصناعها من امهر الناس في شغل البلاط والنحاس والحديد والخشب والصوف والجلد والنسج وترسل مصنوعاتهم الى كل الاقطار من بلاد فارس شرقاً الى اميركا غرباً. وصناعاتهم في الغالب صغيرة يعمل بها الصانع وحدهُ وقد تكون كبيرة اي في معامل واسعة حيث تتوزع فروع العمل على الصناع فيعمل بعضهم في هذا النوع وحدهُ وبعضهم في غيرهِ ويستعمل البخار او الكهربائية لادارة الآلات بدل الناس · وقد شاهدت معملاً منها وهو معمل الخواجات نعسان فيهِ سبع مئة عامل يعملون بسبك النحاس ورسمهِ ونقشهِ وتنزيلهِ وصقلهِ ونشر الخشب وحفرهِ وتطعيمهِ وتدار آلاتهُ بالكهربائية · ومصنوعات هذا المعمل النحاسية والخشبية من ابدع ما رأتهُ العين باشكالها ورسومها وهي تتناول كل اثاث يصنع من الخشب او من المعدن بين كراسي وموائد ومقاعد وخزائن وبين براويز وقناديل وثريات وطسوت واباريق وكوانين وما اشبه · والامتعة الخشبية مطعمة بالصدف والعاج والابنوس والباغا والبقم وغيرهِ من الخشب الملون · والمعدنية اكثرها من النحاس المنقوش نقوشاً عربية وبعضها مرصع بالفضة والذهب والمينا والحجارة الكريمة · ويكثر فيها القناديل والثريات المعدة للانوار الكهربائية وهي اجمل مما هو من نوعها من المصنوعات الاوربية وارخص · ابتعت ثريًّا منها للكهربائية فرآها احد تجار الثريات الكهربائية في القاهرة وثمَّنها بمضاعف الثمن الذي اشتريتها بهِ واكَّد لي انهُ يسهل عليهِ ان يبيعها بهذا الثمن

ومن الغريب ان بعض العمال في المعمل اولاد صغار قد لا يزيد عمر الولد منهم على سبع سنوات ومع ذلك تراهُ يحفر النحاس بالمطرقة والازميل بدقة واحكام كأنهُ اكتسب المهارة بالوراثة · وبلغني ان لهذا المعمل فروعاً في مصر وتونس والجزائر حيث يبيع الكثير من مصنوعاتهِ فضلاً عما يشتريهِ السياح من دمشق نفسها وعما يبيعهُ المهاجرون في اميركا الشمالية والجنوبية

ولم ارَ معامل النسج ولكنني رأيت منسوجاتها وهي من الحرير والصوف والقطن والمطرز والموشى على ضروب واشكال شتى ولاسيما ما يقلد بهِ الكشمير الهندي والظاهر ان سوقها رائجة جدًّا

اما صناعة الرخام والحجر الكلسي الشبيه بهِ فلصناع دمشق فيها القدح المعلى كما يشهد تجديد الجامع الاموي وما فيهِ من بديع صنعة الفسيفساء وكما تشهد دور دمشق الكبيرة قديمها وحديثها . واصحاب هذه الدور يقابلون الزوار بالترحاب ويسمحون لهم بمشاهدة واجهاتها وغرفها وما فيها من دقة الصناعة في الرخام والخشب . على ان هذه الدور حقيرة من خارجها لا يدل ظاهرها على باطنها

وقد كانت دمشق مركز تجارة واسعة لانها واقعة في طريق القوافل بين شمالي سورية والفرات ودجلة وخليج فارس وبلاد العرب والقطر المصري وهذا الذي كان يساعدها دائماً على استرجاع عظمتها بعد كل رزيئة حلت بها الى ان فتحت ترعة السويس فحولت طريق التجارة عنها كما تقدم لكن فتح سكة الحجاز وسكة بيروت اعاد اليها بعض شأنها التجاري . ولا تعلم قيمة صادراتها ووارداتها بالتحقيق ولكن المرجح انها نحو مليون ونصف من الجنيهات ولعل دخل السكان من الزراعة والصناعة والتجارة لا يقل الآن عن ثلاثة ملايين من الجنيهات فيكون دخل الواحد منهم عشرة جنيهات في السنة وتكون ثروتهم مضاعف ثروة السكان في القطر المصري لان دخل الواحد من هؤلاء لا يزيد عن خمسة جنيهات في السنة

ثم ان لاهالي دمشق مورداً آخر للكسب وهو ان مدينتهم مركز الولاية ومقام الفيلق الخامس وايراد الولاية المقرر نحو اربع مئة الف جنيه في السنة ينفق جانب كبير منها في دمشق

فمن رأى ذلك وعلم تاريخ هذه المدينة وما حل بها من الارزاء منذ مئات من السنين الى الآن ووجد انها صبرت على مضض الدهر وغِيَر الايام وخرجت من العصر الحميدي باسواق جديدة عامرة ومباني كبيرة فاخرة ومعامل واسعة النطاق وسكة تدر عليها الخيرات لم يُحسَب كثير التفاؤُل اذا رأى فيها دلائل الارتقاء وقدَّر لها مستقبلاً سعيداً في عهد حكومة دستورية ترفع الجور عن الاهلين وتبذل الوسع في معاضدتهم

وقد تبارى الكتاب في وصف دمشق اذا اشرف الرائي عليها من الصالحية فقصدت الصالحية لاراها منها ولكن اتفق ان ضباباً اكتنفها تلك الساعة فحجب عني رؤْيتها لكني رأَيتها في اليوم التالي من أَعلى مأذنة في الجامع الاموي فاذا هي كبناء واحد تعلوهُ القباب والمنائر وتتخللهُ سقوف الاسواق حنايا من المعدن كانصاف الاساطين والغوطة حولها كسوار من الزمرد حول عقود من اللؤْلوء

وشوارع دمشق على ضيقها ولاسيما القديمة منها انظف من شوارع بيروت واذا فتحت فيها الاسواق الواسعة كسوق مدحت ورصفت بالاسفلت واعتني بنظافتها صارت من اجمل المدائن . ولا بد من الاعتناء بمجاري مياهها حتى لا تشاب بميكروبات الامراض وذلك كلهُ يناط عملهُ بالمجلس البلدي ولعلهُ يؤَلف الآن من وجوه المدينة اصحاب المصالح الكبيرة فيها فينضوا عزيمتهم الى اصلاح مدينتهم وجعلها الاولى بين المدائن الشرقية نظافة وانتظاماً

بعلبك — مدن سورية كثيرة شاهدت منها بيروت ودمشق ويافا وحيفا وعكاء وبعلبك . وقد تقدم الكلام على بيروت ودمشق . وذكرت يافا وحيفا وعكاء بالايجاز التام لانني لم اقم فيها الاَّ ساعات قليلة ومع ذلك لا يسعني الاَّ ان اعود الى حيفا فاقول ان امامها مستقبلاً مجيداً اذا انشيءَ لها المرفأُ المطلوب وعسى ان يهتم سكانها من الآن لكي لا يستأْثر الالمانيون الذين نزلوها بتجارتها . وقد كانت عكاء مرفأَ دمشق لكن مد سكة الحديد الى حيفا لا اليها سيحول التجارة كلها الى حيفا . وقد شاهدت الجمال آتية الى عكاء بالحنطة وهي قطار كبير جداً يمثل تجارة البلاد وثروتها وكأَنهُ النفَس الاخير من حياة دامت الوفاً من السنين وقد اخذت تتقمص الآن بصورة القطُر البخارية . فنودع هذا الحيوان الكريم الذي خدمنا وخدم اجدادنا قروناً كثيرة يقطع الفلوات المحرقة ولا يشكو ضيماً وينقل تجارة الشرق الى الغرب والغرب الى الشرق ذلولاً صبوراً

اما بعلبك فمن اقدم مدن سورية وقد كانت محطاً للقوافل السائرة بطريق تدمر . ويحيط بها وينبسط امامها سهل فسيح لا تقل مساحتهُ عن مئة الف فدان وهو من اخصب سهول الدنيا ترويهِ الامطار شتاءً والجبال على جانبيهِ كثيرة الينابيع فتجري اليهِ وترويهِ صيفاً

وبعلبك مشهورة بقلعتها وهي هيكلان عظيمان من اجمل ما بناهُ الرومان في عصر مجدهم وافخمهِ واكملهِ وساعود الى وصفها في الكلام على مشاهد سورية وعظمة هذين الهيكلين تزيد المدينة الحاضرة حقارة بالنسبة اليهما . ولا شبهة في انها كانت في عصر الرومان من المدن العظيمة الراقية كما يستدل من آثار المباني العمومية الباقية فيها عدا هيكليها ولا يحتمل ان تعظم مدينة الاَّ وفيها اسباب الثروة من زراعة وصناعة وتجارة . وكانت بعلبك كذلك فان سهل البقاع من اخصب السهول وهو المصدر الاول لثروتها . وقد كانت فيها صناعة واسعة بقيت الى عهد غير بعيد حتى أُطلق اسم البعلبكي على انواع من الثياب التي كانت تنسج

فيها · ووقوعها بين تدمر وساحل البحر جعلها محطة من محطات التجارة بين الشرق والغرب وأُضيف الى ذلك كونها دار عبادة وكعبة حجة في زمن الرومان فكانت النذور ترد اليها من كل الاقطار ويتبارى المتعبدون باقامة التماثيل في معابدها

اما الآن فالمدينة لا تذكر بين المدن الكبيرة ولم ارَ فيها تغييراً يذكر بعد ان زرتها آخر مرة منذ خمس وعشرين سنة الاَّ بناءَ بعض البيوت والفنادق الكبيرة · وقد بنى بعضهم بيتاً او فندقاً على آثار مشهدها الروماني القديم ولم يشأْ ان يتركها مكشوفة ليراها السياح الذين يقصدون بعلبك كل سنة بالالوف ليشاهدوا آثارها · ورأَيت منتزه رأس العين وكان في النوبة الاولى التي شاهدتهُ فيها منذ ثلاثين سنة اجمل منهُ الآن · وطريق المركبات الواصلة اليها من محطة سكة الحديد تعمي السائر فيها بغبارها

فموقع المدينة الطبيعي والجغرافي وتاريخها المجيد قبل ان تولاها فساد الاحكام يدلان على انها اهلٌ لتكون من المدن العظيمة الزاهرة وهي مقرّ أُسرتين كريمتين من اعلى أُسر سورية همة وهما آل مطران وآل حيدر وقد عرفتُ منهما رجالاً نوابغ يفتخر بهم في كل بلاد فلا يكبر عليهما وقد انتشر لواءُ العدل والامن ان تتضافرا على اعادة بعلبك الى سالف مجدها

زحله — زحلة اكبر مدن لبنان واكثرها ارتقاءً رأَيتها اول مرة منذ نحو خمس وثلاثين سنة وكان اكثر مبانيها باللبن (الطوب الاخضر) واخذني الذين زرتهم حينئذٍ الى الكنيسة الكبرى فيها واروني اياها متباهين بانها مبنية كلها بالحجر · اما الآن فصار فيها مئات من البيوت الكبيرة وكلها بالحجر النحيت المزخرف وفيها سوق جديدة تسمى سوق البرازيل لان اصحاب البيوت التي بنيت فيها جلبوا اموالها من تلك البلاد · ولم يكن فيها حينما زرتها اولاً فندق واحد ولا ما يقوم مقامهُ فاضطررت في زيارتي الاولى ان انزل عند احد الاصدقاء وفي زيارتي الثانية ان انزل في خيمة من خيام السفر اما الآن فرأَيت فيها فنادق كبيرة جامعة كل وسائل الراحة

وهي مثل غيرها من مدن سورية زراعية صناعية تجارية حولها كروم العنب تمتد الى مسافة شاسعة واهلها مشهورون بزرع الكرم والاعتناء بهِ والظاهر ان تربة ارضهم صالحة لذلك ويرسل العنب منها الى بيروت والى كثير من قرى لبنان ويصنع منهُ الزبيب والدبس وتعصر الخمر · وسهل البقاع على مقربة منها ولاهلها زراعة واسعة فيهِ امتلاكاً والتزاماً · وفيها الصنائع الوطنية المعروفة وهي مختصة بعمل اللبد وصنع الاكاف منهُ · وماؤُها غزير ولا يتعذر عليها ان تحول قوة انحدارهِ الى كهربائية تنير بها بيوتها وشوارعها وتدير

الآلات ولها تجارة واسعة بالحبوب ولكن المورد الذي استوردت منهُ الاموال فبنت بها بيوتها انما هو المهاجرة

وهي في مطئن من الارض يعلوها الجبل من جهات ثلاث وينفرج امامها وفي وسطها وادٍ ملتف الشجر اكثرهُ من شجر الحور فاذا نظرت اليها من مكان مرتفع رأيت بيوتًا مترادفة على جانبي الوادي اكثرها كبير ناصع البياض بواجهات على اعمدة من الرخام وسقوف مسنمة من القرميد الاحمر والماءُ ينحدر اليها من علو شاهق والوادي في وسطها كبساط من الزبرجد . وفيها من المباني الكبيرة الجميلة دار للحكومة ومدرسة كلية وطنية وبناءٌ للمرسلين الاميركيين وبناءٌ آخر لليسوعيين لكن طرقها وشوارعها لا تليق بها ولا يزال فيها كثير من البيوت القديمة الزرية مما بني باللبن فاذا بقيت اموال المهاجرة تنهال عليها واستمر عمرانها على هذا النسق من التقدم والتأنق فلا يبعد ان تزول منها البيوت القديمة الرثة بعد سنين قليلة وتصلح طرقها وشوارعها ويزيد تردد المصطافين عليها

وفي لبنان قرى كثيرة اتسعت فصارت كالمدن الصغيرة مثل عاليه وقد كانت قرية حقيرة منذ ثلاثين سنة وكان المثل يضرب بقلة ذكاء اهلها وهي الآن من مدن لبنان بكثرة مبانيها وتردد الناس عليها واكثر الفضل في ذلك لسكة الحديد فانها جعلتها مصيفًا لاهالي بيروت . ومثل سوق الغرب وبمكين وبحمدون وصوفر وبكفيا وظهور الشوير فانها كلها بنيت فيها المباني الكبيرة بعضها باموال المهاجرة وبعضها باموال التجارة وبعضها باموال المصطافين وقليل منها بالاموال المكتسبة من الزراعة والصناعة . ويظهر لي ان الموارد الاولى اي المهاجرة والمتاجرة والاصطياف ليست مما ينضب بل لا يبعد انها تغزر رويدًا رويدًا ولاسيما مورد الاصطياف اذا بذل اللبنانيون وسعهم في اعداد لوازمهِ كاصلاح الطرق ورشها وانشاء المكاتب للبريد والتلغراف او التلفون في كل مصيف

وخلاصة المقال ان ما رأيتهُ من التقدم في مدن سورية ولبنان يدل على ان البلاد سائرة في سبيل الارتقاء سيرًا حثيثًا وان اسباب هذا الارتقاء لا يحتمل زوالها الاَّ اذا حلت بالبلاد كوارث غير عادية

الطبيعيات وارتقاؤُها

تتمة خطبة السير جوزف طمسن رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

ومن الامور التي نجهلها الآن العلاقة بين القوة المستترة والقوة المحركة فهل هما قوة واحدة وهل القوة المحركة في الاثير هي القوة المستترة في الاجسام فاذا كان الامر كذلك امكننا ان نفرض ان الاشياء المنظورة في هذا العالم تستمد قوتها المستترة من قوة محركة في عالم غير منظور هو الاثير

فالاثير اذاً اشبه شيء بالمصارف المالية تودع الاجسام فيهِ قواها وتسحبها عند اللزوم ومقدار الاثير المرافق للاجسام يختلف حسب زيادة القوة المستترة فيها ونقصانها . ولما كانت الاجسام تشع قوة محركة على الدوام فتنقلب تلك القوة الى حرارة فحجمها في نقصٍ مستمر . فالشمس والارض وغيرها من الاجرام ينقص حجمها يوماً بعد يوم وذلك بنقصان الاثير الذي كان متصلاً بها ولكن هذا النقصان قليل جدًّا و يزداد بطئًا بطول الزمان

ولا بد في هذا المقام من ذكر التقدم العظيم الذي حدث في هذه السنوات الاخيرة في فرعٍ من فروع الطبيعيات اي البحث في الاشعاع الذي اظهرهُ لنا اكتشاف اشعة رنتجن فمن خواص هذه الاشعة انها اذا وقعت على بعض المواد كاملاح الاورانيوم اكسبتها نوراً فصفوريًّا فخطر لبكرل ان يبحث في ما اذا كان هذا النور الفصفوري يولد اشعة رنتجن فاخذ املاح الاورانيوم وعرَّضها لنور الشمس فصارت تشع نوراً فصفوريًّا ثم بحث فيها فوجد ان لها خواص اشعة رنتجن . وعلم بعد ذلك ان ليس من الضروري عرضها لنور الشمس لتتولد فيها تلك الخواص بل هي موجودة فيها ولو كانت في الظلام أي انها من المعدن نفسهِ وليس من الصفة الفصفورية المكتسبة فالاورانيوم واملاحهُ تنبعث منهُ اشعة كاشعة رنتجن وتعمل عملها . ووجد شمد بعد ذلك ان هذه الخواص موجودة ايضاً في الثوريوم . ثم اكتشف الراديوم والبولونيوم والاكتينيوم وغيرها من العناصر وكلها تفعل فعل اشعة رنتجن

وقد وجد ايضاً انهُ يمكن فصل الاورانيوم الى مادتين مادة منهما لها خواص الاشعاع والثانية عكس ذلك . وانهُ اذا حفظت هاتان المادتان بضعة اشهر فقدت الاولى منهما تلك الخواص واكتسبتها الثانية . و يمكن تفسير ذلك بالرأي الذي قدمهُ رذرفورد وسودي وهو ان العناصر الاشعاعية ليست دائمة بل تتحول الى عناصر اخرى ذات ثقل جوهري اقل من ثقلها فالاورانيوم يتحول بعضهُ الى الراديوم وهذا يتحول بعضهُ الى غاز اشعاعي والغاز الى آخر وهلمَّ

جرًّا ومدة هذا التحوُّل قد تكون الوف الملايين من السنين كما في الاورانيوم او بضع ثوان كما في الغاز المنبعث من الاكتينيوم

وجواهر هذه العناصر عند تحوُّلها من حالٍ الى اخرى ينبعث منها مقدارٌ عظيم من القوة فتكون الجواهر المتولدة اضعف من الاولى وهلمَّ جرًّا . وقد علم بالتجارب ان هذا التغير في الجواهر لا علاقة لهُ بعمر الجوهر الواحد اي ان عدد الجواهر التي تتغير في مدة معلومة واحد مهما كانت اعمارها فجوهر الراديوم الذي يكون عمرهُ الف سنة مثلاً قد يعيش الف سنة اخرى كالجوهر المتولد حديثاً . ويظهر من ذلك لاول وهلة ان اسباب هذا التغير خارجية لكنها على الراجح داخلية كأَن بعض الجواهر يولد قويا فيعيش كثيراً وبعضها يولد ضعيفاً فيعيش قليلاً

اما القوة التي تولدها الاجسام الشعاعية فعظيمة جدًّا فالغرام الواحد من الراديوم يولّد قوة تعادل القوة المتولدة من حرق الف كيلو غرام من الفحم الحجري . ولكن كيف تأتي هذه القوة وما هو مصدرها . هذه مسأَلة يصعب حلها . ويحتمل ان يكون سبب ذلك ان في كل جوهرٍ من الجواهر اجهزة كهربائية مختلفة الحجم بعضها صغير وبعضها اكبر منهُ بنحو ١٠٠٠٠٠ ضعف . فالقوة المؤَثرة في الجهاز الصغير اعظم كثيراً من القوة التي في الجهاز الكبير فاذا انفجر الجهاز الصغير حتى صار في حجم الكبير تولّد من ذلك قوة عظيمة جدًّا . فهل يمكن ان الوحدات الكهربائية الايجابية كانت قبلاً صغيرة جدًّا كالوحدات السلبية وبسبب تقادم العهد عظمت وتحولت الى حجمها الكبير وبقي عددٌ منها في حجمهِ الصغير فيكون الانفجار الذي يحصل فيها مصدر هذه القوى الهائلة

وللراديوم شأْن كبير لدى الجيولوجيين كما لهُ شأْن كبير لدي الطبيعيين والكيماويين فاكتشاف خواصهِ قد غير كثيراً في الآراء المعروفة في عمر الارض . فقبل اكتشافهِ كان يظن ان الحرارة المنبعثة من جوف الارض لا يوجد ما يعوّض عنها . فقد كان في الارض مقدار معلوم من الحرارة عند اول تكوينها وهذه الحرارة تنقص رويداً ولا يوجد ما يعوّض عنها فلا يمكن ان يتعدى عمر الارض مقداراً من السنين والاَّ لكانت ابرد مما هي . وقد قدّر اللورد كلفن هذا الزمن باقل من مئة مليون سنة

فالراديوم وان يكن مقدارهُ قليلاً في الارض اي بنسبة خمسة غرامات الى كلّ مكعّب طول جانبهِ مئة ميل لكنهُ ينبعث منهُ من الحرارة ما يزيد على الحرارة التي تتوزّع من الارض في الفضاء . فالطريقة التي كانت متبعة في تقدير عمر الارض لا يعوَّل عليها الآن . ولو كان الراديوم في جوف الارض على النسبة التي هو فيها على سطحها لزادت حرارة جوف الارض

كثيراً عمَّا هي عليهِ الآن ولما وجدت صخور على عمق يزيد عن خمسة واربعين ميلاً عن سطح الارض · ومن الغريب ان الاستاذ ملن في اثناء بحثهِ عن الزلازل وصل الى نتيجة تقرب من هذه وقدَّر المسافة التي تصل اليها الصخور ثلاثين ميلاً وقال ان الارض بعد ذلك متشابهة في البناء (اي ليس فيها اجسام صلبة كالصخور واجسام هشة كالتراب)

واذا كان اكتشاف القوة الاشعاعية قد نفى الطريقة المتبعة في تقدير عمر الارض فقد جاءنا بطريقة غيرها · فمن المعلوم ان غاز الهليوم ينبعث من الاجسام الاشعاعية لكنهُ فيما عدا الزبرجد لا يوجد في الجمادات التي لا عناصر اشعاعية فيها فينتج عن ذلك ان الجمادات التي فيها غاز الهليوم جاءها الغاز من تلك العناصر · والجمادات التي فيها اورانيوم وهو منشأ الراديوم والهليوم يتولَّد فيها الهليوم بمعدَّل معلوم والهليوم لا يتحوَّل كسائر العناصر الاشعاعية بل يبقى ثابتًا ويتجمَّع في الجماد الذي تولَّد فيهِ فاذا عرفنا المقدار منهُ في قطعة من الصخور وما يتولَّد منهُ كل سنة عرفنا المدَّة التي تجمَّع فيها المقدار الموجود منهُ في الصخر او بعبارة اخرى عرفنا عمر الصخر · وقد قدَّر الاستاذ ستروت وهو مكتشف هذه الطريقة عمر قطعة من الجماد المسمى ثوريانيت فوجدهُ ٢٤٠ مليونًا من السنين

وللباحثين مجالٌ واسعٌ لدرس الخواص الطبية والفسيولوجية التي تنشأ من الراديوم فما عرف منها الآن كافٍ لان يجعلنا نرجو الوصول الى فوائد كثيرة تخفف آلام الانسان وقد ثبت الآن ان هذه الاشعة شفت عدداً كبيراً من المصابين بالقرحة الآكالة فيجب علينا الانتباه التام في درس هذه الخواص لئلا يفوتنا شيءٌ من فوائدها · ولا يخفى ان ثمن الراديوم باهظ جدًّا ولا يسع جميع المستشفيات عمل التجارب بهِ لكنهُ بفضل كرام القوم كالسر ارنست كاسل واللورد ايفه وغيرهما اقيم معهدٌ في لندن تحت رعاية جلالة الملك للبحث في خواص الراديوم الطبية ولمعالجة المصابين بامراضٍ يؤَثر فيها العلاج بهِ

وقد كان لهذه الاكتشافات الحديثة في الطبيعيات تأثير عظيم في المشتغلين بهذه العلوم فزادت الآمال باكتشافات جديدة اذ ان مجال الاكتشاف لم يزل واسعًا وقد كنا نظن ان الذين سبقونا لم يتركوا لنا شيئًا منها · فاننا لم نصل بعد الى الغاية القصوى من العلم وكلما بلغنا ذروةً منهُ نرى امامنا ارجاء واسعة كلها فوائد ومهما نظرنا الى الامام لانجد الغرض الاخير الذي نسعى اليهِ فلم يزل بيننا وبينهُ ذرًى كثيرة سيصل اليها الباحثون ويرون ان وراءها آمالاً واسعة فكلما تقدمنا في العلم زاد شعورنا بقدرة الخالق وقلنا « عظيمة هي اعمالك يا رب »

ما هي الحياة

من مقالة للدكتور كنج الاميركي

لو سألنا سائلٌ ما هي الاجزاء الحية من اجسامنا وهل كل جزءٍ منها حيٌّ ام بعضها حيٌّ والبعض الآخر ميت لاجاب كلٌّ منا بمقدار ما عندهُ من العلم وربما اجاب البعض ان كل اجزاء الجسم حية ما خلا العظام

اننا نعلم بالاختبار انهُ كثيراً ما يدخل الجسم الحيواني موادٌ معدنية كالرصاص والدبابيس والابر والمسامير والخواتم وما اشبه وتبقى زمناً طويلاً في الجسم ولا ينتج عنها ضررٌ ما . ومثلها الحصوات التي تتكوَّن في الجسم والاجنة الميتة فانها تبقى في الجسم سنواتٍ كثيرة ولا تؤْذي حاملها وامثلة ذلك كثيرة جدًّا

ثم ان الاصداف والزوائد الجلدية كالقرون والانياب والحوافر والاظفار والشعر والصوف بعضها حيٌّ وهو الجزء الاقرب الى الجسم وبعضها ميت وهو الجزء الابعد . فهذه الاجزاء الميتة تشبه الفحم الحجري والصخور الطباشيرية وعروق المرجان وامشاط الذبْل المتولدة من اجسامٍ حية لكنها ميتة

فما هو الحد الفاصل بين الجزء الحيّ والجزء الميت من قرن الثور او ناب الفيل مثلاً . والجواب عن ذلك انهُ لا فاصل بينهما فالانتقال من الحياة الى الموت لا يكون الاَّ تدريجًا ولا نعلم اين تنتهي الحياة واين يبدأُ الموت . ففي الجسم الحيواني اجزاءٌ كثيرة ميتة عدا الزوائد التي مرَّ ذكرها فالغازات والمواد البرازية في القناة الهضمية ومفرزات الكليتين والكبد كلها موادٌ ميتة . ومثلها اللبن فهو ليس سوى محلولٍ من بعض الاملاح والسكر والمواد النتروجينية وفيهِ بعض الحويصلات المتفتتة المصابة بالحؤُول الدهني فيتكون منها السمن . اما الدم وهو من اهمّ اجزاء الجسم فبعضهُ حي وبعضهُ ميت فكرياتهُ حية والسائل ميت ونسبة السائل الى الكريات كنسبة الماء الى الحيوانات التي تعيش فيهِ . والكريات الدموية تعيش في كثيرٍ من السوائل التي لا حياة فيها فاذا نزف دم انسان وادخلنا الى اوعيتهِ الدموية محلولاً من ملح الطعام عاشت الكريات الدموية فيهِ . وهي تعيش ايضاً في محلول الملح خارج الجسم كما اثبت الدكتور روس من زمن قريب فانهُ وضع كرَّياتٍ بيضاء في محلولٍ مؤَلف من ثلاثة اجزاءٍ من شترات الصوديوم وجزءٍ واحد من كلوريد الصوديوم الى مئة جزءٍ من الماء فبقيت الكريات حية مدة ثلاثة ايام

ومن المواد الميتة في جسم الحيوان السائل البلوراوي والسائل التاموري والسائل البريتوني وغيرها من سوائل الجسم · فيظهر ممَّا تقدم ان خلايا الجسم الحيواني حية وسوائلهُ ميتة · ولنبحث الآن في الموت . هل اذا مات حيوان ماتت كل اجزائهِ الحية دفعةً واحدة او يبقى بعضها حيًّا مدة من الزمن · فقد علم بالاختبار ان بعض خلايا الكبد تستمر على الافراز بعد الموت وكذلك الخصيتان وثبت ايضًا انهُ يمكن نقل قطع من جلد رجلٍ ميت الى جلد رجلٍ حيٍّ بطريقة التطعيم فتعيش فيهِ ونقل قطع من عظام الاموات الى الاحياء فتبقى حية · فقد نقلوا مفصلاً بتمامهِ من رجل ميت ووضعوهُ مكان مفصلٍ مصابٍ بآفة مرضية فعاش المفصل المنقول · فالانتقال من الحياة الى الموت لا يكون دفعةً واحدة بل تدريجًا كما هي الحالة في نشوءِ المواد الحية من المواد الميتة

ومن المعلوم ان اهم الخصائص التي تتميز بها الحيوانات الحية الحركة والنمو والتوليد · اما الحركة فاساسها الكهربائية فالحركة العضلية وحركة الخلايا وانقسام الخلايا وارتباطها بعضها ببعض كل ذلك نوعٌ من القوة الكهربائية المغنطيسية وهذه القوة تتولد بواسطة التحليلات الكيماوية في الجسم · فكل تغيير يحصل في الخلايا من التغذية وغيرها ينتج عنهُ مجرًى كهربائيٌّ وكل خلية في الجسم بطرية كهربائية قائمة بنفسها

واحسن مثالٍ لتولد الكهربائية في الجسم الحيواني نجدهُ في السمك الرعَّاد والانقليس الكهربائي والورنك وغيرها من الاسماك الكهربائية · ففي هذه الاسماك جهاز كهربائي متقن التركيب موأَلف من مئات من الارصفة وفي كل رصيفٍ عددٌ لا يحصى من الاقراص الصغيرة الواحد فوق الآخر وبينها سائل زلالي فيتكوَّن من هذه الارصفة جهاز شبيه بجهاز ولطا الكهربائي ويتصل بهِ اعصابٌ توصل بينهُ وبين النخاع المستطيل فيكون اطلاق المجرى الكهربائي تحت تصرُّف الحيوان فيرسل المقدار الذي يريدهُ وفي اي وقتٍ اراد

فالقوة الكهربائية والقوة العصبية واحدة اي انهُ اذا تحرَّكت عضلة من العضلات بفعل عصبٍ بها تكون القوة الصادرة من ذلك العصب قوة كهربائية وقد بيَّن ذلك الاستاذ سلومونصن باجلى وضوح فقاس المجاري التي تسبب حركة العضلات بواسطة المقاس الكهربائي المسمى كلفنومترا اي كما تقاس الكهربائية وصوَّر هذه المجاري على الالواح الفوتوغرافية

واذا صحَّ قولنا ان كل حيوانٍ وكل خليةٍ منهُ جهازٌ كهربائي وجب فصل الكهربائية المتولدة كما نفصلها في الاجهزة الكهربائية المعروفة والاَّ تبدَّدت سريعًا وتوزعت في ما يحيط بالحيوان من الاجسام · فاذا دققنا النظر وجدنا في الجسم الحيواني فواصل عديدة اي مواد

غير موصلة منها الجلد والصوف والشعر وغير ذلك من الزوائد الجلدية وتزيد هذه الفواصل احيانًا بلبس الصوف والحرير والشعر وما اشبه · ولهذه الاسباب نشعر بنشاط اذا كان الهواء جافًا وبانحطاطٍ اذا كان رطبًا فانهُ في الحالة الاولى تبقى كهربائيتنا فينا لان الهواء الجاف موصل رديء للكهربائية واما الهواء الرطب فموصل جيد فنخسر بهِ مقداراً من الكهربائية

هذا ما يختص بسطح الاجسام الحية المتصل بالهواء وهي متصلة ايضًا بالارض فتقيها الاقدام من توزُّع الكهربائية · وقد ارسلت قطعًا من حوافر الخيل الى الاستاذ ستراتون وطلبت منهُ ان يمتحن قوة فصلها فوجد قوة الفصل في الاجزاء المقطوعة من باطن الحافر ٤٧٠ مليون أُهْمٍ وقوة الفصل في اسفل الحافر ٢٢٠٠٠ مليون اهم وكان المجرى الكهربائي الذي اطلقهُ مؤلفًا من ١٢٠ ولطًا والكلفنومتر حسَّاسًا لكنهُ لم يتحرَّك الاَّ قليلاً جدًّا

ثم ارسلت ٦٧ قطعة من انسجة حيوانية ونباتية الى الاستاذ مورتيمر وهي متنوعة كثيراً من حوافر الدوابّ واظلاف الغنم واظفار الارانب والدجاج ومشيمة جنين وحبلهِ وسلاهُ أي غلافهِ وقشر البيض والنارنج والتفاح والجوز واللفت والبصل · فلم يجد في شيء منها ان القوة الفاصلة في النسيج الداخلي اقوى من القوة الفاصلة التي في الغلاف

فالكرة الارضية لو لم يكن حولها هذا الجوّ الفاصل فيقيها من توزع الكهربائية منها ولو لم تكن اكثر الاجسام الحية مكتنفة ايضًا بما يقيها من خسارة الكهربائية او بعبارة أُخرى من خسارة الحياة لما بقي حيّ على هذه الارض ولكانت الارض كالقمر لا حياة فيها

وغايتي من هذه المباحث كلها وضع تعريفٍ للحياة فقد عرَّفها سبنسر بانها « المطابقة المستمرة بين الاحوال الداخلية والاحوال الخارجية » وعرفها بلانفيل بقولهِ « انها حركة عامة ومستمرة من التركيب والتحليل » وانتقد سبنسر هذا التعريف بقولهِ انهُ ينطبق على ما يجري في البطرية الكهربائية فانها ايضًا حركة عامة ومستمرة من التركيب والتحليل · ففي الزمن الذي كتب فيهِ سبنسر اي سنة ١٨٦٦ لم يكن علم الحياة قد وصل الى الدرجة التي هو فيها الآن ولم يعلم سبنسر ان الجسم الحيواني مؤلف من ملايين من البطريات الكهربائية اي ان كل خلية بطرية كهربائية قائمة بنفسها وان الحياة تصدر من اتفاق هذه البطريات في العمل

فبعد هذه المقدمات اطرح للقرَّاء التعريف الآتي للحياة فاقول · ان الجسم الحيّ سواءٌ كان خليةً واحدة بسيطة او حيوانًا لبونًا تام الارتقاء مؤلفٌ من مجموع ذرَّات من المادة ينتج من الفعل والانفعال اللذين بينها وبين الاحوال المحيطة بها كالنور والحرارة والهواء

والماء قوة كهربائية مغنطيسية و يشترط ان تحفظ هذه القوة لمنفعة الفرد الذي تولدت منهُ و يكون حفظها بواسطة غلاف فاصل و بغير هذا الفاصل لا توجد الحياة مهما تولد من القوى في الاجسام لان هذه القوى توزَّع في الفضاء وتنتقل الى الاجسام الاخرى المحيطة بها . ولم يثبت الى الآن ان للخلايا نفسها غلافاً كهذا ولكن يظهر من بعض التجارب ان لها شيئاً من ذلك

اما البروتوبلازم فمن المواد التي لا هي حية ولا هي ميتة بل بين بين . فاذا اجتمع مقدار منهُ واحاط بهِ غلافٌ وتكونت فيهِ الكهربائية صار حيًّا والاَّ فلا

ومن المعلوم ان المواد الجمادية لا تتحول الى مواد آلية حيوانية حية مباشرةً بل لا بد من تحويلها اولاً الى مواد آلية نباتية لان للنبات خواصَّ يقدر ان يحول بها المواد غير الآلية الى آلية . اما الحيوان فلا يقدر على ذلك بل لا بد لهُ من اخذ هذه المواد من النباتات او الحيوانات الاخرى . وعليهِ فلا نقدر ان نضع تعريفاً للحياة يشمل الحياة الحيوانية والحياة النباتية و بعض المواد حيٌّ كالحيوان و بعضها ميت كالجماد و بعضها بين الحياة والموت كالبروتوبلازم

الكوليرا والصحة في مكة المكرمة (1)

[لخصنا المقالة التالية من رسالة فرنسوية للدكتور قاسم بك عز الدين المفتش العام للصحة والكورنتينات في الاستانة فانهُ اقام سنوات في الحجاز ودرس الاوبئة والاحوال الصحية فيهِ فرأينا ان نتحف قرَّاء العربية بالفوائد التي وردت في رسالتهِ هذه]

الامراض المتسلطة على مكة

الامراض الصدرية كالنزلة الشعبية وذات الرئة كثيرة في الشتاء لكن التدرُّن الرئوي نادر

ضربة الشمس والاحتقانات الدماغية كثيرة في زمن الحرّ الشديد في عرفات ومنى والمدينة نفسها

امراض العين والكبد كثيرة ايضاً لكن الجذام نادرٌ جدًّا ولم ارَ الاَّ مجذوماً واحداً في مدة خمس سنوات

امراض القناة الهضمية تشاهد على مدار السنة لكنها تزداد في مدة الصيف فتأخذ

---

(1) Dr. Cassim Izzeddine. Le Choléra et l'Hygiène à La Mecque. Paris 1909.

الدوسنطارية شكلاً وبائيًّا وتكثر الوفيات بها لاسيما بين الاطفال ٠ وأَرى السبب في ذلك ما يحدث من الضعف في القناة الهضمية لشدة الحرّ فيؤَثر فيها اقل تغييرٍ كاكل الاثمار الفاسدة والسمك العفن الذي يؤْتى بهِ من جدَّة

الحميات الغيلية كثيرة ولاسيما في الصيف ويصعب معرفة اسبابها لان الهواء جافٌ ولا مستنقعات في المدينة ٠ وقد شاهدت عدة حوادث من النوع الخبيث انتهت كلها بالموت ماعدا حادثة واحدة ٠ ولا ريب عندي في صحة التشخيص فان الحمى الخبيثة التي شاهدتها في البصرة اعراضها كاعراض هذه تماماً ولا نزاع في ان الحميات الغيلية كثيرة في البصرة

ولا مستنقعات في مكة لكن الرطوبة كثيرة حول الينابيع والآبار حيث يقع الماء وفي بعض النواحي مياهٌ راكدة لكنها لا تشبه المستنقعات ولا بدَّ من ان البعوض يلقي بيوضهُ في مثل هذه الاماكن ٠ وحدث مرَّة ان الحمَّى الملارية تفشَّت بكثرة في محلة السليمانية فبحثت عن اسبابها ووجدت هناك مصنعاً كبيراً كانوا يملأُونهُ ماء قبل قدوم الحجاج ٠ فعند ظهور الحمى كان في هذا المصنع مقدار قليل من الماء عليهِ طبقةٌ من الخزّ واظن ذلك سبب الحمى

اما الجدري فانهُ يتخذ شكلاً وبائيًّا في مكة ولم تمرّ سنةٌ من السنين التي اقمتها هناك الأ وحدث وباءٌ منهُ وفي سنة ١٨٩٥ كانت الوفيات بهِ ٧٧٠ ٠ ولما رأَيت ذلك اشرت على الحكومة بانشاء معملٍ للمادة الجدرية فانشأَت معملاً كان لهُ فائدة عظيمة للبلاد فكان العرب يقصدونهُ لاخذ الانابيب والتطعيم وكنا نرسل الانابيب الى المدينة المنورة والطائف وجدة وينبع

ثم اتى المؤَلف على ذكر الحصبة وابي الركب والنزلة الوافدة وقال ان كثرة الوفيات في شهر مايو سنة ١٨٩٤ كان سببها الحمى الخبيثة وليس الامراض المعدية وتلويث بئر زمزم كما زعم الاستاذ بروست (١)

الكويرا في مكة

ان الاوبئة التي ظهرت في مكة من حين الى آخر لم تدرس دَرساً وافياً فاخطأَ المؤَلفون الاوربيون في وصفها ٠ وقد شهدت مدة اقامتي في الحجاز الاوبئة للتي تفشت في سنة ١٨٩٠ و ١٨٩١ و ١٨٩٣ و ١٨٩٥ ودرستها درساً مدققاً ولم اكتفِ بذلك بل جمعت من افواه الشيوخ ومن المرحوم الشريف عون الرفيق باشا الذي كان امير مكة في ذلك الحين ما قدرت ان اجمعهُ من تاريخ الاوبئة التي ظهرت قبل مجيئي الى الحجاز وبقيت متتبعاً لاحوال

---

(1) Proust. Politique sanitaire, 195-196

مكة الصحية بعد خروجي منها فاخذت اخبار الوبائين اللذين ظهرا في سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨

اما الاوبئة التي تفشت في مكة فهي هذه

١ وباء سنة ١٢٤٦ هجرية كان ظهورهُ في شهر ذي القعدة (ابريل ١٨٣١) وهي اول مرة عرفت فيها الكوليرا في مكة وكانت وطأتها شديدة جدًّا

٢ وباء سنة ١٢٥٦ (١٨٤١) ظهر في اواخر شوال (ديسمبر) وكان خفيف الوطأة

٣ وباء سنة ١٢٦٢ (١٨٤٧) ظهر في رجب (يونيو) اي خمسة اشهر قبل العيد وكان اخف قليلاً من الاول

٤ وباء سنة ١٢٦٦ (١٨٥١) ظهر في ذي القعدة (سبتمبر) وكان اخف من الذي قبلهُ

٥ وباء سنة ١٢٧١(١٨٥٦) ظهر في ذي القعدة (يوليو) وكان خفيفًا

٦ وباء سنة ١٢٧٢ (١٨٥٧) ظهر في ذي القعدة ايضًا (اواخر يونيو واوائل يوليه وكان خفيفًا

٧ وباء سنة ١٢٧٥ (١٨٦٠) ظهر في ذي القعدة ايضًا (مايو ويونيو) وكان خفيفًا

٨ وباء سنة ١٢٨٠ (١٨٦٥) ظهر في ذي القعدة ايضًا (ابريل) وكان شديد الوطأة لكنهم بالغوا فيهِ كثيراً في اوربا فزعم الاستاذ بروست ان ثلاثين الفًا من الحجاج ماتوا بهِ في منى وقد قيل لي في مكة ان هذا الوباء كان اخف وطأة من وباء سنة ١٨٣١ ومثل وباءي سنة ١٨٩٠ و ١٨٩١ فلا يمكن ان يكون عدد الوفيات في منى اكثر من ١٥٠٠ . ولا ريب ان هذا الوباء كان في غاية الاهمية ليس لشدتهِ بل لسرعة انتشارهِ في جهاتٍ عديدة

٩ وباء سنة ١٢٨٨ (١٨٧٢) ظهر في شعبان (اكتوبر) اي اربعة اشهر قبل العيد ولم يكن شديداً

١٠ وباء سنة ١٢٩٤ (١٨٧٨) ظهر في ذي الحجة (ديسمبر) وكان خفيفًا

١١ وباء سنة ١٢٩٧ ١٨٨١) ظهر في ذي القعدة (اكتوبر) وكان اشد مما قبلهُ

١٢ وباء سنة ١٢٩٨ (١٨٨٢) ظهر في ذي القعدة ايضًا (سبتمبر) وكان اخف مما قبلهُ

١٣ وباء سنة ١٢٩٩ (١٨٨٣) ظهر في ذي الحجة (اكتوبر) وكان اشد مما قبلهُ

١٤ وباء سنة ١٨٩٠ مسيحية ظهر في ٢٨ يوليو اي في اليوم الثاني من ايام العيد وعدد وفياتهِ ٢٥٣٨

١٥ وباء سنة ١٨٩١ ظهر في الخامس من ذي الحجة (١١ يوليه) وعدد وفياتهِ ٢٩٤٢

١٦ وباء سنة ١٨٩٣ ظهر في ٢٣ ذي القعدة (٨ يونيو) وكان اشدها فتكاً توفي بهِ في مكة وحدها ١٣٤٣٦ وفي ضواحيها ١٨٩٠٠

١٧ وباء سنة ١٨٩٥ ظهر في ٢٧ شوال (٢١ ابريل) وكان خفيفاً جدًّا عدد وفياتهِ في مكة ٢٧٨ فقط

١٨ وباء سنة ١٩٠٢ ظهر في ذي القعدة (٢٠ فبراير) وعدد وفياتهِ نحو ٤٠٠٠

١٩ وباء سنة ١٩٠٧ و١٩٠٨ ظهر في ذي القعدة (١٣ ديسمبر) وعدد وفياتهِ ٤٧٣٩

هذه هي الاوبئة التي تفشَّت في مكة والمشهور عند اهاليها انها انتقلت اليها من الهند اما مباشرة او عن طريق بلادٍ اخرى كجزيرة جاوى وبلاد اليمن وجزيرة قمران وبلاد الفرس والعراق

وقد وصلتُ الى النتائج الآتية من درس هذه الحوادث

اولاً لم ينشأ الوباء ولا مرة في مكة بل جاءها من الخارج

ثانياً كانت اكثر الاوبئة الشديدة في زمن الحرّ كوباء سنة ١٨٣١ و١٨٦٥ و١٨٩٠ و١٨٩١ و١٨٩٣ وبعضها في فصل الشتاء كما في سنتي ١٩٠٢ و١٩٠٨

ثالثاً قد يكون الوباء خفيفاً في زمن الحرّ كما في سنة ١٨٥٦ و١٨٥٧ و١٨٦٠

رابعاً يكون الوباء خفيفاً في زمن الحرّ المعتدل كما في سنة ١٨٤١ و١٨٧٢ و١٨٧٨ و١٨٨١ و١٨٨٢ و١٨٨٣ ويكون احياناً شديداً في مثل ذلك كما في سنة ١٨٤٧ وسنة ١٨٥١

خامساً لم يظهر الوباء قط في الاشهر الستة الاولى من السنة الهجرية اي محرم وصفر وربيع الاول وربيع الثاني وجمادى الاولى وجمادى الآخرة . وظهر مرة واحدة في رجب (١٨٤٧) اي خمسة اشهر قبل العيد ومرتين في اواخر شوال واربع مرات في ذي الحجة واحدى عشرة مرَّة في ذي القعدة . فيظهر جليًّا ان لهذا الداء علاقة بالحج فيجيء بمجيء الحجاج ويذهب بذهابهم

الوسائط التي تنتقل بها الكوليرا الى مكة

من الامور المسلَّم بها عند جميع الذين كتبوا في هذا الموضوع ان الكوليرا لا تنشأُ في مكة بل تأتيها دائماً من الخارج لكنَّ الوسائل التي تنتقل بها الجراثيم من الهند الى الحجاز لم تزل على بساط البحث وقد أُتيح لي ان اتباحث في هذا الموضوع مع زميليَّ المرحوم الدكتور ڤوم والدكتور ڤرنديربلس وذلك عند ما كنا في محجر جزيرة قمران في سنة ١٨٩٦ . ثم جاء بعدنا الدكتور بوريل ودرس المسأَلة عينها ونشر آراءهُ في موَّلف سمَّاهُ « الكوليرا والطاعون في الحج الاسلامي (١) » وكان ملخَّص آرائهِ ان الحجَّاج القادمين من الهند يحملون في امعائهم الباشلوس الضمّي (ميكروب الكوليرا) وهو في حالة الضعف لا ضرر منهُ فاذا شربوا ماء فيهِ المكروبات الموافقة لنموهِ انتشر الوباء في مكة وجزيرة قمران وهذه المكروبات هي التي سمَّاها متشنيكوف مكروبات المساعدة . وقد بنى الدكتور بوريل رأيه هذا على ابحاث الدكتور ڤرنديربلس حيث وجد في قمران الباشلوس الضمّي والمكروبات المساعدة لهُ . وقال انهُ لا بد من وجود الباشلُّوس والمكروبات عينها في آبار مكة ونسب تفشي الداء الى هذه الاسباب ومن الادلة التي اتى بها لاثبات ذلك ان الكوليرا ظهرت في مكة سنة ١٩٠٢ دون ان تحدث اصاباتٌ بها بين المقيمين في قمران لان هؤُلاء استعاضوا عن ماء الآبار بالماء المقطَّر . فرأي الدكتور بوريل هو ان الكوليرا تنتقل من الهند الى مكة وقمران بواسطة الجراثيم الكامنة وهو ينكر بتاتاً انتقالها مع البضائع وامتعة المصابين

ولما جئت الى قمران سنة ١٨٩٦ اتيتها من مكة حيث درست هذا الداء درساً وافياً وعرفت الاحوال التي يظهر فيها والطرق التي ينتقل بها فلم تقنعني آراء رصيفيَّ الدكتور ڤرنديربلس والدكتور بوريل ولي رأي آخر اطرحهُ على بساط البحث

ليس من السهل معرفة الباشلُّوس الضمي من شكلهِ فقط ولا دليل على ان الباشلُّوس الذي وجد في قمران هو الباشلوس الضمي عينهُ ولو كان مشابهاً لهُ تمام المشابهة فقد تأَكد وجود هذا الباشلس في حج سنتي ١٨٩٦ - ١٨٩٧ ولم تحدث اصابات بالكوليرا في ذينك العامين لا في مكة ولا في قمران فلو كان هو الباشلوس الضمي عينهُ لانتشرت الكوليرا في مكة على الاقل لان اهلها لم يشربوا الماء المقطَّر . وعندي انهُ لا علاقة بين الباشلوس الكامن وانتشار الكوليرا فهذا الداء ينقلهُ الحجَّاج من بمباي حيث الداء مستوطن كلما اشتدت وطأَتهُ

---

(1) Choléra et Peste dans le Pelèrinage musulman, 1904

في تلك المدينة وزادت الاصابات فيها . وظهور الداء في قمران قبل ظهورهِ في مكة من الادلة التي تثبت ذلك فالكولرا تنتقل بواسطة المصابين في غالب الاحيان اما انتقالها بالبضاعة فنادرٌ جدًّا لا يمكن اثباتهُ ويرجح انتقالها في بعض الاحيان مع امتعة المصابين

وكثيراً ما تصل البواخر الى قمران ويعلن عنها انهُ لم تحدث اصابات وبائية فيها فملاحظة الحجاج على الطريق صعبة جدًّا وقد تحدث اصابات لا يعلم بها ضباط الباخرة

اما الطرق التي اشير باتخاذها لمنع انتقال الكوليرا الى الحجاز فهي هذه

اولاً يجب عزل الحجاج عند ما تشتد وطأة الكوليرا في بمباي ووضعهم تحت المراقبة خمسة ايام قبل سفرهم تطهر في اثنائها امتعتهم

ثانياً تراعى الاحوال الصحية في البواخر التي ينقلون عليها ويعطى لكل حاجٍ مضاعف المساحة التي تعطى لهُ اعتيادياً على ظهر الباخرة

ثالثاً البواخر التي تنقل الحجاج من بمباي تمنع من الاختلاط بالمدينة واذا كان لا بد من ذلك يجب ان تبقى خمسة ايام تحت المراقبة

رابعاً ينتقى الاطباء والموظفون الصحيّون في البواخر من ذوي الخبرة الذين كانوا في وظائف الحكومة ولا يكون للشركات صاحبة البواخر سلطة عليهم بل يكونون تحت سلطة مصلحة الصحة في المواني التي يسافرون منها . ويساعدهم في الباخرة معاونون يقيمون مع الحجاج ويراقبونهم واذا حصلت اصابة بالكوليرا مدة السفر وجب على القبطان اعادة الباخرة الى بمباي وانزال الحجاج منها فيعودون الى اوطانهم ويمنعون من السفر تلك السنة وتمنع الباخرة من قبول غيرهم من الحجاج

خامساً اذا حدثت اصابات في جزيرة قمران يمنع الحجاج الذين ظهرت بينهم الاصابات من استئناف السفر الى مكة

اما اذا كانت الكوليرا خفيفة الوطأة في بمباي فلا داعي لعزل الحجاج قبل سفرهم بل يراقبون مدة السفر كما لو كانت الكوليرا شديدة واذا حدثت اصابات في الباخرة او في جزيرة قمران وجب اعادةُ الحجاج الى اوطانهم ولا يسمح لهم بتتميم فريضة الحج تلك السنة . ولي الأمل انهُ بهذه الوسائل يمتنع انتشار الكوليرا في الحجاز

وسنأتي في العدد التالي على ملخص وصفهِ لوبائي سنة ١٨٩٣ و ١٨٩٥ والاحتياطات الصحية التي يشير باتخاذها في مكة

برنارد شو ورواياتهُ

(١) المجد الحربي

هل الشجاعة الحربية فضيلة او هي رذيلة ؟ وذلك الضابط او العسكري الذي تلمع في صدرهِ النياشين هل نعدهُ في عداد الرجال الذين نفتخر بهم او في عداد الطغام الذين نرجو زوالهم من الارض

لا ينتهي الانسان من قراءة رواية المستر شو « الانسان والسلاح » Arms and Man حتى تتجلى امامهُ حقيقة جديدة عن اوهام الناس في الحروب والوطنية اذ يرى كذب الشعراء في الامجاد الحربية و بطلان الاسباب التي تحشد من اجلها الجنود وتراق في سبيلها الدماء

كيف يقال ان في الحرب مجداً وهي مبنية على خداع العدو اي على انتهاز فرصة ضعفهِ للهجوم عليهِ . اننا في معاملاتنا العادية نلوم الخادع الماكر الذي يعيش بخداع الناس وغشهم — نسترذل عملهُ في معاملاتنا العادية ولكننا نجدها في الحياة الحربية

يقول المستر شو في مقدمتهِ لهذه الرواية : « اننا ننظر الى وظيفة العسكري كأَحط وظيفة تتنزل اليها شهامة الرجل ويحق لنا ذلك اذ ما هي حقيقة هذه الوظيفة ؟ هي ان يعتمد الانسان على قوتهِ الجسدية . هي ان يكرهُ اعداءهُ حتى يقتلهم . هي ان لا يقتلهم وهم مسلحون حتى يردوا وحشيتهُ بمثلها بل ينتهز فرصة يكونون فيها نياماً او في حالة لا تمكنهم من الدفاع عن نفوسهم . هذه هي صفوة الفضائل الحربية التي يتغنى بها الشعراء »

ولقد فضل المومسة التي تبيع جسمها وتضحي طهارتها لتنال لقمة تسد بها رمقها على القائد الذي نال شهرتهُ ببيع اجسام الالوف بعد ان نشر الخراب طولاً وعرضاً الى ان قال . هل نحن محقون في تبجيل من وظيفتهُ لا تزيد علي وظيفة مكروب الطاعون او الكوليرا التي تبتدئ بالقتل وتنتهي بالقتل ؟ أليست هذه وظيفة كل حربي من القائد الى الجندي

وصف احد كتاب الاميركان المستر شو بقولهِ « اننا نرى الاشياء بعيوننا العادية اما هو فكأَنهُ يراها بمكرسكوب فيطَّلع على دقائق الاشياء التي تخفى عن ابصارنا البسيطة » . ويظهر لك صدق هذا القول اذا قرأت رواية من رواياتهِ التمثيلية التي يحلل فيها عواطفنا الكاذبة كالحب والمجد والشرف التي تعودتَ ان تراها موصوفة بانها من الاخلاق السامية - هذه العواطف التي تعودنا احترامها يريها لك كأَنها بنيان من تراب اساسهُ الخرافات اذا وضعتهُ

تحت اشعة العقل انهار الى الارض . وما هذا المجد الحربي الاَّ توحش ورثناهُ من آبائنا ايام كانوا في دور الحيوانية ؟ ما هو حبك لوطنك وتفضيلهُ على بقية الاوطان الاَّ قصراً في النظر نستحق العقاب عليهِ لا الشكر

ومن الغريب ان المستر شو يرى الفوضى ديناً في اخلاقنا الاجتماعية وهو سوشيالي في بادئهِ المعاشية ! والفوضوية ضد السوشيالية على خط مستقيم كما لا يخفى فغرض السوشيالية ان تقيد حريتنا التجارية وتوقف المزاحمة الاقتصادية وهذا النظام مطلوب مفيد ظهرت بعض فوائدهِ التي جُربت في الممالك الاوربية فيستغرب من المستر شو ان يعتقد صحة هذا النظام المعاشي مع رغبتهِ في فوضى نظامنا الاجتماعي فهو لا يرى فرقاً بين المومسة والمتزوجة ولا يرى ان من العقل ان نحمي الوطن ضد العدو او ان نقدس الشرف الاصطلاحي او ان نحب عائلاتنا لانهُ يجب علينا ان نحب الجميع بلا تفضيل ونمزق كل القيود التي تربط الزوج بزوجتهِ والأب بابنهِ والانسان بوطنهِ

(٢) الثورة الاصلاحية Revolutionist's Handbook

في « كتابهِ الثوروي » الذي اضافهُ الى احدى رواياتهِ ترى آراءهُ وما يطلبهُ من الاصلاح في المجتمع الانساني . ففي الفصول الاولى بيَّن كل اغلاطنا في المدنية واوضح ان الفرق بينها وبين الهمجية معدوم او قليل ثم اقترح العلاج في الفصل الاخير من هذا الكتاب — علاجاً يؤدي الى تقدم الانسانية وترقيها

ونعني بتقدم الانسانية افضلية الانسان الحالي على الانسان الماضي عقلاً وجسماً . فقد قال المستر شو اننا اذا قارنا انفسنا بآبائنا لم نرَ فرقاً محسوساً في ترقينا عليهم . تصوَّر مثلاً حالة المصريين القدماء في عهد رعمسيس الثاني وقارنها بحالة المصريين الآن وبين العصرين ٣٥٠٠ سنة . فهل المصريون الآن ارقى من اسلافهم عقلاً او اقوى منهم جسماً قد تقول مثلاً اننا نسافر الآن بواسطة البخار الذي كانوا يجهلونهُ وان وسائط النقل عندهم كانت لا تزيد على الحمير او الخيول او نحوها واننا نحن نركب المواطر والمركبات والترام وغيرها وتستنتج من هذا دليلاً على تقدمنا عليهم . ولكنك اذا بحثت واعملت نظرك في لب هذه الحقيقة بدلاً من سطحها وجدت ان التقدم موهوم فان الفلاح الذي يتربع اليوم في الدرجة الثالثة من قطراتنا ليس اذكى عقلاً ولا اقوى جسماً من اخيهِ او ابيهِ الذي عاش في مصر في عهد رعمسيس الثاني . فهو لا يعرف ماهية هذه الآلة الهائلة التي تجر القطر

واذا عرف فمعرفتهُ لا يمدح عليها او لا تفضلهُ على المصري القديم الاَّ كما يفضل هو علينا بمعرفتهِ تحنيط الموتى الذي عرفهُ وجهلناهُ . وبعبارة أُخرى ان معرفة امور كثيرة ليست دليلاً على التقدم كما ان جهل امور كثيرة ليس دليلاً على التأخر فكم من امور دينية وصناعية عرفها المصريون وجهلناها نحن بلا خسارة علينا

ونحن وان كنا اختلفنا عنهم في الفروع فاننا وهم سواء في الاصول فبيوتنا كبيوتهم وطعامنا كطعامهم والفرع الوحيد من اعمالنا الذي تقدمنا فيهِ تقدماً محسوساً هو الآلات الحربية — أي اننا تقدمنا في ما يقطع اوصال الانسانية بدلاً من ان يلئمها

والعلاج الذي يشير بهِ المستر شو ضمانة لتقدمنا هو اصلاح الزواج . قال فقد ظهر في تاريخ الانسان كثيرون من النوابغ الذين فاقوا بعقولهم ابناء عصرهم كافلاطون وغاليليو ونيوتن — رجال افادوا العالم باعمالهم التي ملأُوا بها حياتهم . ولكن بموت هؤُلاء النوابغ ماتت قرائحهم وخسرنا خسارة كبرى

فالثورة الاصلاحية التي يطلبها هي تخليد هؤُلاء النوابغ او بعبارة اوضح تخليد قرائحهم حتى تفيد الانسان وتؤُول دائماً الى ترقينا الترقي الصحيح . والسبب في عدم وصول ابناء افلاطون الى مستوى عقل ابيهم وبعبارة أُخرى السبب في عدم وراثتهم قريحة والدهم هو جهل الامة التي عاش فيها افلاطون اذ لم تستعمل قوتهُ بطريقة تؤَدي الى وراثة نسلهِ لهذه القوة العقلية فانهُ بديهي اننا نرث كثيراً من والدينا جسماً وعقلاً فاذا نظمنا التزاوج — لا الزواج — بين الافراد تنظيماً علمياً يؤُول الى تخليد القوى عقلاً او جسماً وزوال الضعيف كان ذلك خطوة في سبيل التقدم الحقيقي . واذا لم يؤُول الزواج الى تحسين الشعب وتقدمهِ فلا فائدة منهُ والغاؤُهُ افضل من بقائهِ فالغرض الاسمى من الزواج يجب ان يكون تخليد الشعب وتحسين عناصرهِ ولكن هذا الغرض ضائع الآن بقوانين الزواج فاذا عدلنا الزواج بشكل نمنع بهِ المريض من التزوج بالمريضة والابله بالبلهاء وقبيح الشكل بالقبيحة . ثم زوجنا القوي بالقوية والرياضي او الفلكي بالرياضية او الفلكية — فبهاتين الطريقتين يمكننا تحسين الشعب ولكن قد يعترض القارئ الآن انهُ لا يمكن اجبار اثنين على الزواج اذا لم يتحابا فالجواب انهُ اذا لم يكن الغرض من الزواج ارضاء الشهوة الحيوانية بل خدمة الامة بتقديم ابناء اصحاء لها وجب ان يسقط كل اعتبار آخر

تتوقف اليوم معيشة المرأة على عمل الرجل فاننا نمنعها من العمل ونكلف الرجل القيام

بنفقاتها فالنتيجة من هذا النظام ان نصف الامة عاطل لا يعمل وقوتهُ الجسمية والعقلية في خمول يرثهُ نسل الزوجين اذ ان الطفل ليس ابن ابيهِ فقط بل ابن ابيهِ وامهِ · وثانياً ان المرأة باعتمادها على الرجل تنكر على نفسها وحي طبيعتها بانتقاء من تفضلهُ وتقبل من تراهُ اقدر من غيرهِ مالاً فيمكننا ان نلخص الاصلاح المطلوب بما يأتي

اولاً جعل المرأة مستقلة عن الرجل معاشياً حتى يسقط الاعتبار المالي في اختيارها لزوجها والطبيعة افضل حاكم فاذا اوحت اليها فهي تتبع وحيها في بقاء الانسب

ثانياً ان نمنع زواج العاطلين ونقوي تزاوج اللائقين · فلا ينبغي ان نزوج المجرم او المريض ويجب ان نقوي الزواج بين اللائقين كالقوي مع القوية جسماً او عقلاً

ثالثاً يجب ان نضع امام اعيننا قصداً سياسياً لاصلاح الشعوب ونتخذ الطرق الطبيعية لتحسينها فانهُ اذا كانت الطبيعة على توالى الزمن قد قدرت على تكويننا من الحيوانات الدنية — وبعبارة اخرى اذا كنا نعرف ان الانسان الحالي نشأ من الخلية البسيطة – اذا كنا نعرف هذه القوانين وماهياتها التي كانت العامل القوي في اخراجنا من دور الحيوانية الى دور الانسانية فلماذا لا نستعملها في اخراج او انشاء انسان ارقى من الانسان الحالي عقلاً وجسماً

وليس برنارد شو اول من فكر في هذا الموضوع فقد سبقهُ نيتشه الفيلسوف الالماني والَّه هذه الفكرة مرتئياً اننا يجب ان نضحي كل عزيز لدينا في الوصول الى تتميمها

الفكرة عالية والمقصد نبيل ولكنني ارى انهُ لا سبيل الى الغاء الزواج حتى تلغى الغرائز الحيوانية التي فينا وهو ما لا نصل اليهِ الاَّ بعد قرون

سلامه موسى

[المقتطف] لبرنارد شو اقوال ثقيلة حذفناها من هذه المقالة لانها لا تناسب آداب الاجتماع الآن لا في هذه البلاد ولا في البلدان الاوربية فالمجاهرة بها من باب وضع الشيء في غير محله فهو يبيح مثلاً التزاوج من غير قيد وهذا امرٌ تأباهُ آداب الاجتماع في عصرنا في اكثر البلدان الراقية لان الادلة متوفرة على ضررهِ فاذا تغيرت احوال الاجتماع وتوفرت الادلة على نفعهِ حق للذين تتوفر لديهم تلك الادلة ان يغيروا نظامهم ويعملوا بما يصلح لهم

معجم الحيوان

❖ **البومة · ام الخراب · النُهَام** ❖ E. Owl. F. Hibou
طائر من طيور الليل وهو انواع كثيرة

❖ **البومة البيضاء · المصَّاصة** ❖ Strix flammea E. Barn owl F. Effraye
نوعٌ من البوم يعرف بهذين الاسمين في مصر والشام (ساڤيني وترسترام وهو غلن)

❖ **الثَبَج ؟** ❖ Scops giu. E. Scops owl, screech owl. F. Duc. طائرٌ
من الهام يصيح الليل اجمع كأَنهُ يئن (المخصَّص ولسان العرب)

❖ **الخبَل** ❖ Syrnium aluco. E. Tawny owl F. Chat-huant
طائرٌ يصيح الليل كلهُ ماتت خبَل ماتت خبَل (المخصَّص ولسان العرب) وهذا الصوت يشبه كثيراً صوت البوم المسمى Syrnium عند علماء الحيوان

❖ **البُوْه · البُوْهَة** ❖ Bubo. E. Eagle owl طائر من طير الليل وهو نوعٌ من البوم يعرف بهذا الاسم الى يومنا في مصر كما ذكر ساڤيني وهوغلن وقد تكون اللفظة يونانية كما قال الاب انستاس الكرملي او هي حكاية صوت هذا الطائر

وفي لسان العرب « البوهة الرجل الضعيف الطائش قال امرؤُ القيس

ايا هند لا تنكحي بوهةً عليهِ عقيقتهُ احسبا

وقيل البوه الكبير من البوم · قال رؤبة يذكر كبرهُ

كالبوهِ تحت الظلَّةِ المرشوشِ

وقيل البوهة والبوه طائر يشبه البومة الاً انهُ اصغر منهُ والانثى بوهة قال ابو عمرو هي البومة الصغيرة ويشبه بها الرجل الاحمق وانشد بيت امرىء القيس » انتهى · والذي اراهُ ان امرأَ القيس لم يلقب هذا الرجل بالبوهة لحمقهِ فقط بل لقبح منظرهِ ولانهُ اجهر مثلها اي لا يحتمل ضوء النهار ولذلك نعتهُ بالاحسب ايضاً والاحسب كما فسَّرهُ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي هو « الذي ابيض جلدهُ وشعرهُ لآفة تعرض للمادة الملونة فتقل من جسمهِ وتفقد تماماً » وهو ما يسمى Albinos باللغة الفرنسوية والاسم منهُ الحسبة Albinisme ويكون الاحسب اجهر اي لا يبصر في ضوء الشمس · ولا يستغرب تنبه امرىء القيس لهذا الداء فقد كان العرب

على جانب عظيم من الفراسة لا يفوتهم شيءٌ من الامور التي كانوا يشاهدونها فكيف برجل مثل امرئ القيس

الهامَة · الصَدَى Athene glaux. E. Little owl F. Chouette

نوعٌ من البوم وهي طائرة صغيرة كدراء غبراء عظيمة الرأس اينما درت ادارت رأسها قبلك · والهامة تأوي الى القبور والاماكن الخربة المظلمة

وقد جاءَ في المخصَّص ان « الهامة طائرة كدراء غبراء مثل لون البوم بعظم البومة · والهامة الظيمة الرأس وهي زرقاء تنظر من كل مكان اينما درت ادارت رأسها قِبلك ولا تقبل بصدرها والجميع الهامات والهام · ولا تطير البومة ولا الهامة بالنهار ولكن يكونان في الغيران ظاهرتين · ويتطير بالهامة ويتنكد بها وقوم لا يتطيرون بها ولا يتنكدون فلا تضرُّهم باذن الله تعالى · وقومٌ كثيرٌ يتيمَّنون بها وقالوا لا ترى الاَّ بالليل في رؤُوس الجبال وبعض اهل الجاهلية كانوا يقولون انها هام الناس اذا مات الانسان خرجت من رأسهِ هامة وذلك باطل · قال ابو خيرة تصيح عند القبور وخالفهُ ابو الدُّقيش · قال ذو الرمَّة

يا ايهاذيًا الصدى الضبوحُ   اما تزال ابداً تصيحُ

وقال بعضهم البومة بضخم العقاب والهامة طائرة صغيرة · قال ابن خازم السلمي وقتل لهُ ابن بهراة

فان تك هامةٌ بهراة تزقو   فقد ازقيت بالمروين هاما

وهذا في مذهب من قال يخرج من هامتهِ طائرٌ يصيح عند قبرهِ » انتهى

وفي حياة الحيوان « الصدى طائرٌ معروف تقول العرب انهُ يخلق من رأس المقتول يصيح في هامة المقتول اذا لم يؤْخذ بثارهِ ···· وتزعم العرب في الجاهلية ان الانسان اذا مات او قتل تتصور نفسهُ في صورة طائر تصرخ على قبرهِ وفي ذلك يقول توبة الحميري احد عشاق العرب

ولو ان ليلى الاخيلية سلَّمت   عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلَّمت تسليم البشاشة او زقا   اليها صدًى من جانب الغور صائحُ

قيل انها مرَّت بقبرهِ فانشدت ذلك (وفي رواية أُخرى سلمت عليهِ) فارتفع شيءٌ من القبر كالطائر نفرت منهُ ناقتها فسقطت ميتة ودفنت الى جانبهِ » انتهى

ومثلهُ قول المجنون

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها   ومن دون رمسينا من الارض منكبُ

لظل صدى رمسي وان كنت رمة   لصوت صدى ليلى يهش ويطربُ

وقال ساڤيني ان الهامة الطائر المسمى Strix flammea لكني ارى من وصف الهامة في المخصص ولاسيما في قولهِ ان العرب يتيمنون بها انها الطائر الذي ذكرتهُ لان بعض العرب في يومنا هذا يتيمنون بها ايضاً (انظر حيوان فلسطين للقانون ترسترام) وقد كانت رمز الحكمة عند قدماء اليونان

◆ السُبَد • الضُوَع ◆ Caprimulgus E. Goatsucker, churn-owl, nightjar. F. Tette-chèvre, engoulevent.

طائرٌ من طير الليل اكبر من الخطّاف وشبيهٌ بهِ ريشهُ اغبر اصدأ مخطَّط بخطوط سود وهو مسرول الساقين واسع الفم مفلطح الرأس والمنقار وحول منقارهِ شعر • ويعرف في الشام بابي عُمَيْ وفي مصر بابي النوم وفي المغرب بطير الموت وفي السودان بالقرّة لكنهم يطلقون هذه اللفظة هناك على نوعٍ من الحجال ايضاً

والسُبَد في المخصَّص « طائر دون الصقر يطير بالليل ينفخ ثم يقع قريباً سريع الامتلال وعن ابي عبيد هو طائر ليِّن الريش اذا قطر على ظهرهِ قطرتان من ماء جرى » (اي الماء)

وفي لسان العرب « السُبد طائر اذا قطر على ظهرهِ قطرةٌ من ماء جرى وقيل هو طائر لين الريش اذا قطر الماء على ظهرهِ جرى من فوقهِ للينهِ ••• وقيل السبد طائر مثل العقاب وقيل هو ذكر العقبان •••• وقال الاصمعي السبد هو الخطّاف البرّي وقال ابو نصر هو مثل الخطاف اذا اصابهُ الماء جرى عنهُ سريعاً » • فالاصمعي وابو نصر عرفا ان السبد من رتبة الخطاف قبل ان يعرف ذلك علماء الحيوان بمئات من السنين فهؤلاء لم يتفقوا على وضعهِ في هذا الباب الاّ من زمن قريب • فوصف السبد في المخصص ولسان العرب ينطبق تمام الانطباق على الطائر المسمى ابا عمي في الشام

اما الضوع فاظنهُ السبد ايضاً وقد اختلفوا في وصفهِ وتحريمهِ وتحليله لشدة مشابهتهِ للبوم ففي حياة الحيوان في باب البوم ما نصهُ . « قال الرافعي ذكر ابو عاصم العبّادي ان البوم حرام كالرخم وكذلك الضوع وعن الشافعي رحمهُ الله قولٌ انهُ حلال وهذا يقتضي ان الضوع غير البوم لكنّ في الصحاح ان الضوع طائر من طير الليل من جنس الهام » وفي باب الضوع « قال النووي الاشهر انهُ من جنس الهوام وقال الجوهري انهُ طائر من طير الليل من جنس الهام وقال المفضل هو ذكر البوم »

وفي لسان العرب « الضوع طائر من طير الليل كالهامة اذا احسّ بالصباح صدح • قال الاعشى يصف فلاةً

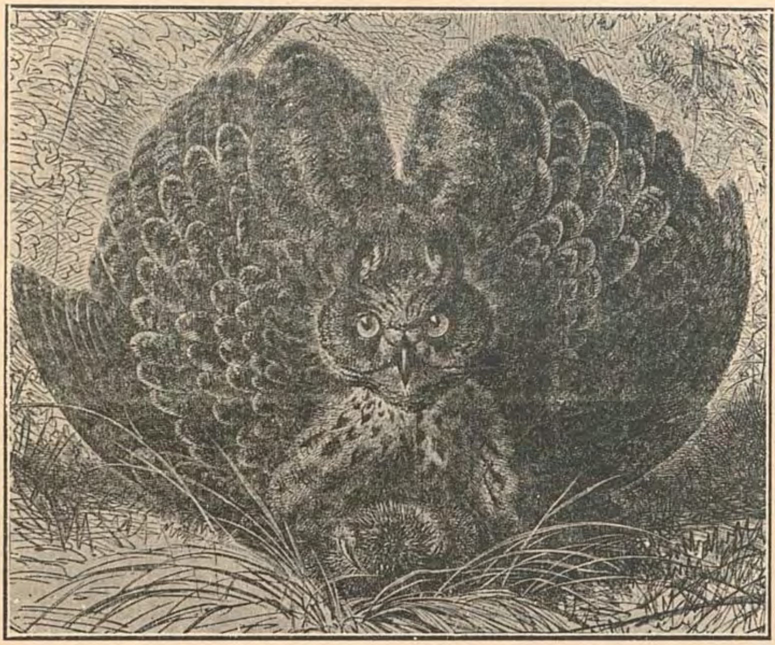

البوهة

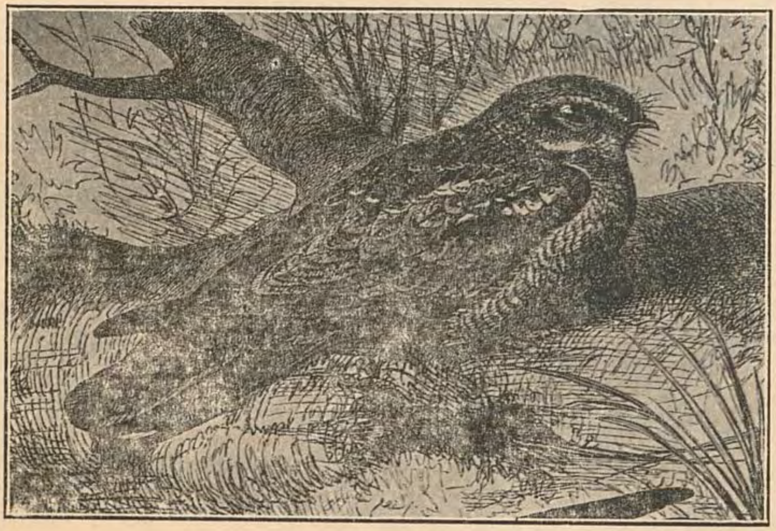

السُبَد وهو الضُوَع

لا يسمع المرءُ فيها ما يؤَنّسهُ بالليل الأَ نئيم البوم والضوعا
وقال المفضل هو ذكر البوم وقال ثعلب الضوع اصغر من العصفور »

وفي المخصص « الضوعة صغيرة ولونها الى الصفرة عاليتها رقشة وباطنها صفرة وزرقة قصيرة العنق والزمكّى اصغر من العصفور سميت ضوعة من قبل صويت لها يصوِّت في وجه الصبح .... وقيل الضوع من العصافير الخ »

وفي كتاب الحيوان للجاحظ (٢ : ١٠٩) « يقال للطائر الذي يخرج من وكرهِ بالليل البومة والصدى والهامة والضوع والوطواط والخفاش وغراب الليل » . فقد ذكر الجاحظ طيور الليل المعروفة عندهم ولا بد انهُ ادخل بينها الطائر المسمى ابا النوم وهو كثير في بلاد العرب وليس هو البوم ولا الصدى ولا الهامة ولا الوطواط ولا الخفاش ولا غراب الليل فلم يبقَ الاَّ الضوع . ثم لو كان الضوع هو البوم او جنساً من العصافير كما جاءَ في بعض كتب اللغة لما اختلف الائمة في تحليلهِ وتحريمهِ لكنهُ طائر من طير الليل يشبه البوم في بعض احوالهِ ويشبه العصافير في غيرها وهو سبب اختلافهم والله اعلم

وفي مجلة المقتبس (١ : ٣٧٥) مقالة لاحد قرّائها في بغداد لم يذكر اسمهُ جاءَ فيها ان استاذي الدكتور بوست رحمهُ الله مخطئٌ في تسمية احد انواع الببغاء في اميركا بالمكّاء وان المكّاء هو هذا الطائر اي المسمى Goatsucker بالانكليزية وتفسيرها مصّاص المعز واستشهد على ذلك بصاحب الاوقيانوس وكاتب آخر تركي . ولا ريب ان المكّاء ليس هذا الطائر الذي ذكرهُ الدكتور بوست ويسمى Macaw بالانكليزية واظنهُ استعار لفظة المكّاء العربية للمشابهة بين الاثنين . وليس المكّاء مصاص المعز ايضاً بل هو نوعٌ من القنابر يعرف عند علماء الحيوان باسم Certhilauda desertorum وهو كثير في بلاد العرب وبادية الشام وشمال افريقية . ولا ادري كيف سماهُ عاصم افندي « جوبان الداديجي » اي خادع الرعاة ولعل الذي حملهُ على ذلك قول الشاعر

اذا غرّد المكّاءُ في غير روضةٍ فويلٌ لاهل الشاء والحمراتِ

وفسرهُ البطليوسي بقولهِ ان المكاء انما يألف الرياض فاذا غرّد في غير روضةٍ فانما يكون ذلك لافراط الجدب وعدم النبات . وهو تفسير غريب لان المكاءَ لا يألف الرياض بل البادية وقول بعضهم انهُ يغرّدُ في الرياض مأخوذ عن هذا البيت واظنهُ لامرىء القيس فان صحّت رواية البيت فلا بد ان لهُ تفسيراً آخر

ولا انكر ان بعض مؤلفي الافرنج قالوا ان المكّاءَ هو مصّاص المعز ويحتمل ان اللفظة

مستعملة بهذا المعنى في بعض الانحاء او انهم اخذوا ذلك عن عاصم افندي لكن وصف المكّاء في كتب اللغة لا ينطبق مطلقاً على مصّاص المعز بل على نوع القنابر الذي ذكرتهُ واللفظة مستعملة الى هذا اليوم في المغرب كما سيجيء . وهذا ما جاء عن المكاء في بعض كتب اللغة وغيرها

ففي لسان العرب «المكاء طائر في ضرب القنبرة الا ان في جناحيهِ بلقاً سمي بذلك لانهُ يجمع يديهِ ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً قال الشاعر

اذا غرّد المكّاء في غير روضةٍ   فويلٌ لاهل الشاء والحمراتِ

وفي التهذيب المكّاء طائر يالف الريف وجمعهُ المكاكي من مكا اذا صفر»

وفي المخصَّص «المكَّاء طائرٌ دقيق ابيض طويل الرجلين والعنق وساقاهُ بيضاوان كبياض جسدهِ . صغير المنقار قصير الزمكّي . يكون في كل زمان ولهُ صفير حسن وتصعيد في الجوّ وهبوط وهو في ذلك يصفر»

وفي عجائب المخلوقات «المكّاء طائر من طيور البادية يتخذ افحوصةً عجيبةً من العوسج ويبيض فيها ورأى بعض الاعراب مكّاء بالشام سائراً فحنّ الى وطنهِ وقال

فدىً لك يا مكّاء مالك ههنا   عمارة الفحوص فكيف تبيض»

وفي حياة الحيوان «المكّاء طائر يصوّت في الرياض يسمى مكّاء لانهُ يمكو اي يصفر كثيراً . . . . قال البغوي هو طائر ابيض يكون بالحجاز لهُ صفير الخ»

وقد وصفهُ السائح الانكليزي ريتشاردسن بما يقرب من وصف ابن سيده قال(١) «وكنا نرى من حين الى آخر طائراً يسمى المكا Moukha وهو في حجم الهزار ابيض ضارب الى السمرة لم نسمع احسن من تغريدهِ . اما طيرانهُ فعجيب فانهُ يسير مسافة على وجه الارض ثم يقف ويطير صعدّاً في الهواء بضع عشرة قدم وهو في ذلك يصفر صفرتين او ثلاثاً ثم ينشر زمكّاهُ ويهبط الى الارض وهو يغرّد تغريداً مطرباً» . واللفظة الانكليزية قرأها دوزي مكّاء وهو من المعوّل عليهم لاسيما في لغة المغرب (انظرها في معجم دوزي)

وجاء في «حيوان فلسطين ونباتها» للقانون ترسترام في وصف القنبرة المسماة Certhilauda ما تعريبهُ «وهو كثير في جنوب فلسطين وشرقي الاردن ويألف البادية في شمال افريقية وغرب اسيا وحسبهُ بعضهم من نوع الهدهد لانهُ اخرج الجناحين ولانهُ يشبههُ في الطيران»

---

(1) Travels in Morroco, by Richardson, II, 246.

وللشنفرى في وصف طيرانهِ ما ينطبق على قول ابن سيده وريشاردسن وترسترام قال

ولا خرقٍ هيقٍ كأنَّ فؤادهُ   يظلُّ بهِ المكَّاء يعلو ويسفلُ

فهذا التصعيد والهبوط لا تراهُ في مصَاص المعز بل في القنبرة والهدهد والسقساق وما اشبه

وجاء في حاشية الدكتور جورج يعقوب على عجائب المخلوقات ان بعضهم فسَّر المكاء بمصَاص المعز والبعض بالقنبرة المسماة Certhilauda desertorum (1)

ومحصَّل ما تقدَّم ان المكاء طائر من القنابر لهُ تصعيد في الجوّ وهبوط وهو في ذلك يصفر صفيراً حسناً. لونهُ ضارب الى البياض لكنهُ اخرج الجناحين اي فيهما بياضٌ وسواد لذلك سمي بالاخرج ايضاً . وهو يبني الخوصاً (عشًّا على الارض) من العوسج

اما السبد اي مصاص المعز فمخالف لهُ تمام المخالفة فهو من طيور الليل لا تصعيد لهُ وهبوط كالقنابر او الهداهد ولا هو حسن الصوت ولا لونهُ ابيض ولا هو اخرج الجناحين ولا يبني الخصوصاً من العوسج او غيرهِ بل يلقي بيضهُ على الارض لا في حفرةٍ كالاخوص ولا في عش كغيرهِ من الطيور وكل ذلك يتضح من مراجعة وصفهِ في كتب الحيوان

الدكتور امين المعلوف

المقرن

او ملتقى البحرين

شاهدتُ في الخرطوم أعجبَ منظرٍ   فيهِ أطلت تأملي وتفكري
ما عشتُ لا أنساهُ بل يبقى لهُ   يحلو على مرّ الزمان تذكري
ويسرني اني على القراء ما   شاهدت اعرض وصفهُ واقولُ

من نحو خمس سنين ألزمني السفر   لزيارة الخرطومِ امرٌ لي صدَر
فوردتها وصدرتُ عنها نائلا   ما شئتهُ وحمدتُ وردي والصدر
وبرحتها ولها اشتياقي كلما   ذُكرتْ يدور بخاطري ويجولُ

---

(1) Dr. Georg Jacob. Arab. Geographen, 123.

لم ابقَ فيها غير بضعةِ اشهرٍ   وودتُ لو سمح الزمانُ باكثر
لكنَّ ذا الوقتَ القصيرَ قضيتهُ   في خبرِ ما عنها رواهُ مخبري
فوجدتهُ محضَ الصوابِ تكلما   ما شابَ صحةَ قولهِ تدجيلُ

جوَّلتُ فيها ما اردتُ ممتعًا   نظري بها لشؤُونها مستطلعا
فرأَيت انوارَ الحضارة فوقها   أَجلى من الصبحِ المنير واسطعا
وعلى مرابعها السلام مخيما   والامنُ يمتعُ روقهُ ويطولُ

هذا بمقلة حائر متعجب   ابصرتهُ فنفى ارتيابًا حفَّ بي
ولأُمِّ درمان ابتغيت زيارة   اقضي بها مما أُشاهدُ مأربي
واليك مجمل ما رأَيتُ وانما   تفصيلهُ مالي اليهِ سبيلُ

كحل الرقادِ مسحتهُ عن ناظري   وبكرتُ في يومٍ بكور الزاجر
وركبتُ مع غيري القطار فقلَّنا   وغدا بنا يجري كعدو الطائرِ
حتى اتى جرفًا عليهِ تحتما   فيهِ الوقوف كأَنهُ مغلول

فهبطت منهُ النيلَ ضفتهُ الى   حيث «المعدية» استوت مستعجلا
كانت هناك معدةً لركوب من   يبغى الى قصر الخليفة موصلا
فدخلتها وعلوت فيها سلما   ووقفت أُطلق ناظري وأُجيلُ

سرَّحتهُ فاذا ضحى من خدرها   قد اسفرت مفترَّة عن ثغرها
وتدفقت انوارها فتمزَّقت   بشعاعها سحبُ الظلام بأَسرها
والكون اصبح كلهُ متنعما   ثملاً بصهباء السرورِ يميلُ

والوحش يطفر والطيور تزقزق   والدوح يرقص والغصون تصفقُ
وعلى الجيوب تهب انفاس الصبا   فتخالها مسكاً فتيقًا يعبق
والورد بالزهر البديع تختما   وعليهِ من قطر الندى اكليلُ

والأَزرقُ الجاري يريكَ بمائهِ   ذوبًا منَ الفيرزِ لونَ سمائهِ
تحكي عذوبتهُ الشهادَ وما لهُ   من مشبهٍ بنقائهِ وصفائهِ

يجري صحيحاً والنسيمُ مسلما   أبداً يهبّ عليهِ وهو عليلُ

اذ ذاكَ نبهني صفيرُ الباخره   فنظرتها واذا بنا هي ماخره
جاش البخارُ بجوفها وتصاعدَت   زفراتها فوقَ المياهِ الزاخره
وجرَت بنا غرباً تشقّ البحرَ ما   وتكرّ فوق عبابهِ ونصولُ

واذا بهذا الازرقِ الضحضاح بال   بحر الخضمّ الابيض الطامي اتصل
وسمعتُ صوتاً من ورائي صارخاً   «ذا مجمع البحرين فانظر بالعجل»
فنظرته متفرساً متوسماً   وحلا لي التشبيهُ والتمثيلُ

شبهتُ ابيضهُ بجوّابٍ حضر   بعد الغيابِ وعاد من اقصى السفر
فاغبرّ من وعث المسير وطولهِ   واكدرّ حتى ابيضّ من فرط الكدر
ولذاكَ لاحَ مقطباً متجهما   وبدت عليهِ نحافة ونحول

والازرقُ الصافي حكى بنقائهِ   قلبَ الوفيّ بودهِ وولائهِ
حصباؤُهُ درٌّ واما ماؤُهُ   فمذابُ فيروزٍ على حصبائهِ
وبنهلةٍ من مائهِ تلقى الظما   ريّان لا يقوى عليهِ غليلُ

هذا المكانُ لهُ يقال المقرنُ   إذ فيهِ للبحرين ملقى بيّنُ
جمعتهما الاقدار فيهِ وكان في الـ   حسبان ان حصولهُ لا يمكنُ
مثل الشتيتين اللذين عليهما   لا يستحيل الى اللقاء وصول

وكأنني بهما غداة تقابلا   وتلاقيا فيهِ ولم يتواصلا
رجلان من اهل الفرنجة لم يكن   من قبل بينهما التعارفُ حاصلا
فتوقفا عنهُ وكلٌّ منهما   لم يبدُ منهُ على القبول دليلُ

سارا معاً وكلاهما متجنبُ   لرفيقهِ خطواتهِ مترقبُ
تلقاهُ يرمقهُ بعين محاذرٍ   متفحص لكن لهُ لا يقربُ
حتى يرى بعد المسير ويعلما   ان التعارف صالح مقبولُ

فيميل حينئذٍ اليهِ ويبسط   كف السلام وللتعارف ينشطُ

حتى ترى الرجلين صارا واحداً   في كل ما فيهِ التمازجُ يضبطُ
عقدا اتفاقًا لا يحلُّ وابرما   عقداً على الاخلاص ليس يحولُ

او عاشقان تلاقيا في موعدٍ   لشكاية الشوق المقيم المقعدِ
لكنما خوفَ الرقيب وللحيا   او لاتقاء السامع المتعمدِ
سكتا عن الشكوى كان قد أُلجما   وعليهما سترُ الجوى مسدولُ

حتى اذا عينَ الرقيب تجنبا   وعلى حيائهما الشديد تغلبا
باحا بشكوى عذبة وتطارحا   عتبًا الذَّ على الفؤاد واعذبا
وغدا ائتلافهما وثيقًا محكما   لانقض يعروهُ ولا تبديلُ

وكذلك البحران حين تلاقيا   ما انفكَّ بينهما التقاطع باديا
هذا على حدةٍ جرى وبلصقهِ   ذاك استقلَّ بجريهِ متفاديا
فرأيت للمائين خطًّا معلما   وكلاهما عن جارهِ مفصولُ

من بعد ما جريا على هذا النمط   ميلاً وهذا لم يمازج ذاك قط
جذبتهما نحو التآلف قوة   فاندس ذاك بماء هذا واختلط
وتمثل البحران بحراً اعظما   اياهُ نعني اذ نقول النيلُ

هذا الذي مصرُ العزيزة ترفدُ   بمياههِ وبهِ نعيش وتوجدُ
يروي اراضيها ويسقي زرعها   وبفيضهِ يغني البلاد ويسعدُ
و « بطميهِ » في كل عام اذ طما   تزكو الغلال ويخصب المحصولُ

ومفاوز السودان تسأل قطرةً   تطفي بها من حرظمءٍ زفرةً
فيصد عنها وهو يعلو ظهرها   ويردها ظمأى تردّدُ حسرةً
« كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماءُ فوق ظهورها محمولُ »

مصر القاهرة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٩   اسعد داغر

الكرة والصولجان

كرةٌ وضعت لصوالجةٍ فتلقفها رجلٌ رجلُ

اللعب بالكرة والصولجان قديم جدًّا كان شائعاً في مصر والشام في زمن المماليك الى عهد غير بعيد ثم نسي امرهُ الى ان اعادهُ الضباط الانكليز في هذه الايام وهم يلعبونهُ في ميدان الكرة في الجزيرة وفي كثيرٍ من مدن السودان ويسمونهُ بولو Polo . ولا يعلم تاريخ اللعب بالكرة تماماً ويقال ان على بعض الآثار المصرية والهندية رسوماً بارزة تمثل فرساناً بايديهم الصوالجة . والمشهور ان اصلهُ من بلاد الفرس فقد ذكر صاحب الاغاني ان عديًّا بن زيد كان يختلف مع ابن احد المرازبة الى الكتّاب فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من افهم الناس بها وافصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشّاب فخرج من الاساورة الرماة وتعلَّم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها . ولا يخفى ان عديًّا هذا كان في زمن الجاهلية

وجاء في بعض التواريخ اليونانية ان لعب الكرة والصولجان كان معروفاً عند الروم في القسطنطينية يلعبهُ القياصرة والامراء والخاصة منهم ويعدونهُ من الالعاب الشريفة وقد وصفهُ احد موَرخيهم قال(١) «ينقسم جماعة من الفرسان الى فرقتين متساويتين عدداً ويضعون في ميدان اللعب كرةً من الجلد في حجم التفاحة ثم يأخذ كل واحد منهم عصاً في رأسها حلقة محبوكة بالخيوط كالشبكة ويطلق العنان لفرسهِ وهو يدفع الكرة بهذه العصا نحو غرض منصوب في طرف الميدان . ولكلٍّ من الفرقتين غرضٌ تُدفع الكرة اليهِ فالفرقة التي توصل الكرة الى غرضها اولاً هي الغالبة . الى ان قال ولا يخلو هذا اللعب من الخطر لان على اللاعب ان ينقلب بفرسهِ ويميل في عدوهِ لاحقاً بالكرة اينما اتجهت» . ثم ذكر عدداً من الامراء قتلوا وهم يلعبون

وذكر الطبري في تاريخهِ ما يأتي «وكان اردشير بن بابك لما افضى اليهِ الملك اسرف في قتل الاشكانية الذين منهم كل ملوك الطوائف حتى افناهم ثم تزوج بجارية رآها في دار المملكة ولم يكن يعلم انها ابنة الملك المقتول من الاشكانية فحملت منهُ واخبرتهُ بعد ذلك انها من نسل اشك فنفر منها ودعا بشيخ يثق بهِ وامرهُ بقتلها . الاَّ ان الشيخ استبقاها حتى وضعت غلاماً فسماهُ شابور وهو سابور الجند عند العرب . وبقي اردشير بعد ذلك دهراً لا يولد لهُ فحزن لذلك . ثم دخل عليهِ الشيخ بعد حين واخبرهُ ان ولدهُ حيٌّ فامرهُ اردشير ان يهيئهُ في مائة غلام من اترابهِ واشباههِ في الهيئة والقامة ثم يدخلهم عليهِ جميعاً لا يُفرق بينهم في زيٍّ

---

(١) قالهُ كاترمير في تاريخ المماليك

ولا قامةٍ ولا ادب ففعل ذلك · فلما نظر اليهم اردشير قبلت نفسهُ ابنهُ من بينهم واستحلاهُ من غير ان يكون اشير لهُ اليهِ · ثم امر بهم جميعًا فاخرجوا الى حجرة الايوان فاعطوا صوالجة فلعبوا بالكرة وهو في الايوان على سريرهِ فدخلت الكرة في الايوان الذي هو فيهِ فكاع الغلمان جميعًا ان يدخلوا الايوان واقدم سابور من بينهم فدخل فاستدل اردشير بدخولهِ عليهِ واقدامهِ وجرأَتهِ انهُ ابنهُ »

وذكر المسعودي في مروج الذهب ان هرون الرشيد كان اول من لعب بالكرة والصولجان من الخلفاء · وشاع هذا اللعب بعد ذلك بين السلاطين والامراء والخاصة من المسلمين في مصر والشام والعراق ولم يزل شائعًا بين الاتراك والجراكسة في بر الاناضول الى هذا اليوم · وكان اكثر الناس ولعًا بهِ سلاطين المماليك في مصر فانشأُوا لهُ الميادين وغرسوا حولها البساتين وصاروا يركبون اليها ويلعبون بالكرة · فمنهم الملك الصالح نجم الدين ايوب فقد ذكر المقريزي انهُ انشأَ الميدان الصالحي باراضي باب اللوق وصار يركب اليهِ ويلعب فيهِ بالكرة وما برح هذا الميدان تلعب فيهِ الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح الى ان انحسر ماء النيل من تجاههِ فانشأَ الملك الظاهر بيبرس الميدان الظاهري في طرف اراضي باب اللوق وما زال يلعب فيهِ بالكرة هو ومن بعدهُ من ملوك مصر الى ان كانت سنة اربع عشرة وسبعمائة فانشأَ الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدان سرياقوس (وهي في جهة الناصرية الآن) سنة ٧٢٣ وكان يتوجه اليهِ في كل سنة ويقيم بهِ الايام ويلعب فيهِ بالكرة الى ان مات فعمل ذلك اولادهُ من بعدهِ · فكان السلطان يخرج في كل سنة من القلعة الى الميدان الناصري على النيل ومعهُ جميع اهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضي العسكر وسائر ارباب الرتب ويسير الى السرحة بناحية سرياقوس وينزل بالقصور ويركب الى الميدان هناك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر اهل الدولة ويقيم في هذه السرحة ايامًا ولم يزل هذا الرسم مستمرًّا الى سنة ٧٩٩ · وانشأَ الملك الناصر ميدانًا آخر في القلعة سنةُ ٧١٢ وكان ينزل اليهِ ويلعب فيهِ بالكرة مع امرائهِ يومي الثلثاء والسبت

وقد قتل كثيرٌ من الامراء بلعب الكرة فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٥٥ ان قايماز الارجواني امير الحج سقط عن الفرس وهو يلعب بالاكرة فسال مخّهُ من منخريهِ واذنيهِ فمات · وجاء في تاريخ ابن اياس ان الملك السعيد محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس كان يلعب بالكرة في ميدان قلعة الكرك « فتقنطر » بهِ الفرس فانكسر ضلعهُ فمات من يومهِ وذلك سنة ٦٧٨ هجرية

ولم يزل المماليك والانكشارية يلعبون بالكرة والصولجان الى ان بادوا فنسي هذا اللعب في مصر والشام لكنهُ لم يزل معروفاً في برّ الاناضول الى هذا اليوم كما اخبرني بعض ادباء الاتراك

وكان للعب الكرة شأن عظيم عند سلاطين المماليك وامرائهم فكانوا يعينون اميراً لحفظ الصوالجة والاعتناء بها منهم الامير حسام الدين الجوكان دار او الجوكاندار اي صاحب الجوكان وقد فسَّرها صاحب كتاب الانشاء قال «الجوكان دار هو الذي يحمل الجوكان وهي عصاً مدهونة طولها نحواً من اربعة اذرع وبرأسها خشبة مخروطة محدودبة تنيف عن نصف ذراع» . فالجوكان هو ما يسميهِ الانكليز Polo stick واللفظة فارسية قديمة الاستعمال في تلك اللغة وهي في الاصل چول گان من چول منحنٍ وگان اداة نسبة فخففوها وقالوا چوگان . والجوكان هو الصولجان بالعربية معرَّب چولگان بالفارسية قبل ان خفَّف الفرس هذه اللفظة . وقالوا ايضاً الصولج والصولجة والصَّوجان وكلهُ معرَّب چولگان او چوگان وهو عصاً يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب كما في التهذيب . والصولجان ايضاً عصاً كان يحملها الملوك وهي من شعارهم كالتاج

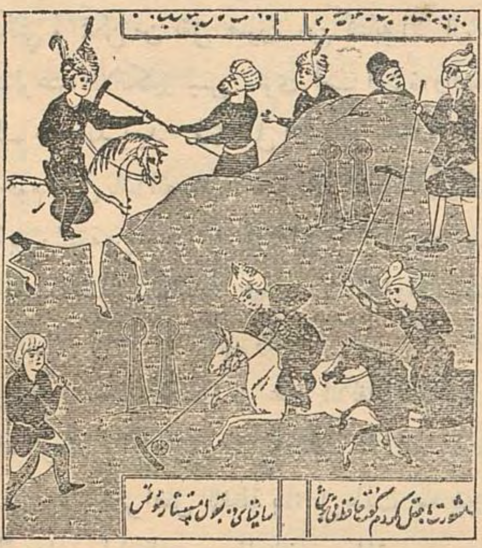

لعب الكرة والصولجان عند الفرس

اما الروم فاخذوا لعب الكرة عن الفرس كما مرَّ وسموهُ چوكانيون من چوكان بالفارسية

ومن الرومية اشتقَّت لفظة Chicane الفرنسوية في بعض معانيها (١)

وقد ورد ذكر الجوكان كثيراً في تواريخ الفرس واشعارهم اخصها كتاب الملك (شاهنامه) الذي نظمهُ شاعرهم الفردوسي للسلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع للهجرة فوصف لعب الكرة والصولجان وصفاً بديعاً وذكر ان الامير سياوش بن كيكاوس كان يلعب بالكرة والصولجان. ويرجع ذلك الى زمن بعيد في تاريخ الفرس لا يعرف تماماً لكنهُ كان قبل المسيح ببضع مئات من السنين وفي اكثر نسخ «شاهنامه» المصوَّرة رسوم بديعة الشكل تمثل سياوش يلعب بالكرة والصولجان. والرسم الذي في هذه المقالة منقول في الاصل عن نسخةٍ قديمة من ديوان حافظ احد شعرائهم كتبت سنة ٩٥٦ هجرية الموافقة لسنة ١٥٤٩ مسيحية. والفردوسي اقدم من ذلك كثيراً لكني لم اتمكن من نقل صورة عن كتابهِ الأَّ ان هذا الرسم كافٍ لان يعرف منهُ ان لعب البولو عند الانكليز ليس سوى لعب الكرة والصولجان المعروف عند العرب والفرس من قبلهم من عهد بعيد. ويحتمل ان الفرس اخذوا لعب الكرة عن الترك لاسيما اذا صح قول المرحوم وفيق باشا الصدر الاسبق في معجمهِ التركي ان كلمة چوكان تركية الاصل وليست فارسية بل مشتقة من مصدر جوكمك اي الانحناء والضغط وقد اخذها الفرس عن الترك. وهذا غير بعيد فالخيل نشأَت اولاً في اواسط اسيا والامير سياوش الذي ذكرهُ الفردوسي اقام في بلاد الترك وتزوج ابنة ملكهم ولعلهُ تعلم لعب الكرة هناك. لكنَّ الفرس يعتمدون اشدَّ الاعتماد على الفردوسي ويعرفون عدد الالفاظ العربية والتركية في ديوانهِ ويقولون ان هذه اللفظة فارسية ثم ان وجود اللام في الصولجان العربية مما يدل على ان اللفظة فارسية كما مر. وقد اسهبت في ذكر اصل اللفظة بناءً على طلب صديقين هما الدكتور ميرزا مهدي خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء ومن علماء الفرس المشهورين وعزتلو يوسف سامح بك من موظفي الحربية ومن ادباء الترك المعوَّل عليهم وكلٌّ منهما تمسك برأيهِ

فلعب الكرة والصولجان قديم جدًّا ولا يزال معروفاً في بلاد التبَّت واليابان والهند والاناضول وقد تعلمهُ الافرنج من الشرق كما يستدل من اسمهِ باليونانية البيزنطية اي چوكانيون واللفظة الفرنسوية Chicane وان يكن قد تغيَّر معناها الآن ثم نسي امرهُ عند الافرنج الى ان اعادهُ الضباط الانكليز فتعلموهُ من الهنود ولعبوا بهِ لاول مرةٍ في بلاد الانكليز سنة ١٨٧١ وانتشر بينهم انتشاراً كبيراً ولهم فيهِ مؤَلفات كثيرة. اما لفظة بولو الانكليزية فيظن انها من بولو بلغة التبَّت ومعناها كرة

امين المعلوف

---

(١) قالهُ كاترمير في تاريخ المماليك

مناجاة الارواح

لا بدَّ من العود الى هذا الموضوع مرةً بعد أُخرى لانهُ من اهم المواضيع العصرية لاسيما واننا ابدًا رأينا في كل الحوادث الدالة على مناجاة الارواح وهو ان ليس فيها دليل قاطع على انها خالية من الخداع ومتى احتُمل وقوع الخداع في عمل بطل الاستدلال بهِ وضعفت الثقة بعاملهِ . وقد قرأْنا الآن مقالة مسهبة في هذا الموضوع لسكرتير الجمعية التي تبحث في المسائل النفسيَّة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وذكر فيها اعمالاً لاسابيا بلادينو شاهدها بنفسهِ هو وجماعة من البارعين في اكتشاف حيل المحتالين وكانوا قد أُرسلوا الى ايطاليا من قبل جمعية المباحث النفسية ليمتحنوا اعمال اسابيا هذه فرأَينا من الانصاف ان نذكر خلاصتها حتى يطلع القراءُ على المسأَلة من وجهيها

يقال ان رجال العلم المعتادين على المباحث الطبيعية هم اقل من غيرهم استعداداً لاكتشاف خداع الخادعين لانهم الفوا الاعمال الطبيعية التي لا تخدع احداً . قال الكاتب ولذلك اختير اثنان من الماهرين في فن الشعوذة ليشتركا في امتحان اسابيا بلادينو وهما المستر كرنجتون والمستر بغَدْلي اما المستر كرنجتون فمشعوذ مشهور وهو يستعمل مهارتهُ للفكاهة لا للتعيش وقد استخدمتهُ جمعية المباحث النفسية في اميركا لامتحان مدعيّ مناجاة الارواح واكتشاف اخاديعهم فامتحنهم وكشف اضاليلهم وكتب عنهم مقالات كثيرة في مجلة الجمعية بين فيها كيف يخدعون الناس وألَّف كتاباً كبيراً في هذا الموضوع سماهُ الظواهر الطبيعية والسبرتزم صرَّح فيهِ بانهُ لم يرَ عملاً من الاعمال الدالة على مناجاة الارواح حقيقة

والمستر بغدلي من اعضاء مجلس الادارة في جمعية المباحث النفسية وقد مارس الشعوذة مدَّة للفكاهة ولاظهار اخاديع المشعوذين المدعين مناجاة الارواح وامتحن كل اعمال مدعي مناجاة الارواح منذ ثلاثين سنة الى الآن واستنتج من ذلك ان مناجاة الارواح خداع في خداع . واضيف اليهما كاتب هذه المقالة وهو لم يمارس فن الشعوذة ولكنهُ تعلم طرقها واساليبها من اربابها ومن المدعين مناجاة الارواح انفسهم حتى صار يعتقد ان كل الذين يشتغلون بمناجاة الارواح خادعون ماكرون

قال الكاتب هؤُلاء اعضاء اللجنة التي انتخبت للبحث في هذا الموضوع وقد رأَوا انهُ لا يكفي ان يقتنعوا بصحة ما يرونهُ او فسادهِ بل يجب ان يخبروا عما حدث وعما رأَوا بالتفصيل والدقة

حتى يقف الجمهور على ما وقفوا هم عليهِ . وان يصفوا ايضاً كل ما اتخذوهُ من الوسائل لمنع الخداع ولذلك اختاروا واحداً ماهراً بالكتابة المختزلة اجلسوهُ معهم حيث يستطيع ان يرى ويكتب ما يراهُ وما يسمعهُ . وجرى الامتحان في الغرفة التي كنت انام فيها في احد الفنادق بنابلي علقنا ستارة سوداء ذات فلقتين امام زاوية الغرفة فحجبت منها جزءا مثلثاً طول قاعدتهِ نحو ست اقدام ووضعنا داخل الستارة مائدة صغيرة مستديرة ووضعنا عليها لعباً صغيرة اشتريناها من نابلي وهي دف ومزمار وبيانو وبوق وجرس وما اشبه . وعذْرنا في اختيار هذه الاشياء ان الافعال التي تحدث بواسطة اسابيا هي في الغالب تحريك الاجسام الصغيرة ونقلها من مكان الى آخر على بُعْد قليل منها فلا فرق بين ان نختار هذه الاشياء او غيرها . ووضعنا الستارة لان اسابيا تعتقد ان المكان المستور يساعد على جمع القوة ولعلها مصيبة في ذلك لانهُ يظهر ان القوة صادرة من الستارة . اما هي فلم تنظر الى ما وراء الستارة ولا كانت تعلم ما فيها . ووضعنا امام الستارة مائدة صغيرة طولها قدمان وثلاثة ارباع القدم وعرضها نحو قدم ونصف وجلست اسابيا الى جانب هذه المائدة وظهر كرسيها الى الستارة وبُعْدها عنها نحو قدم او قدم ونصف وجلس كل واحد منا على جانب من الجوانب الثلاثة الباقية وامسكنا بيديها ووضعنا رجليها بين ارجلنا وفي بعض الاحيان كان واحد منا يجلس تحت المائدة ليمسك رجليها بيديهِ

وكان امامها على نحو ست اقدام منها قنديل كهربائي مدلًّى من السقف فيهِ اربعة مصابيح مختلفة النور بعضها اقوى من بعض ولها مفاتيح الى جانب الشخص الذي يكتب الكتابة المختزلة فيفتحها ويقفلها كما يشاء . فاذا كان النور على اقواهُ امكننا ان نقرأ بهِ الخط الدقيق في طرف الغرفة البعيد عنا واذا كان على اضعفهِ امكننا ان نرى بهِ وجه اسابيا ويديها . وفي بعض الاحيان كانت تقفل المصابيح كلها فنصير في ظلام دامس

جلسنا مع اسابيا احدى عشرة جلسة كنا وحدنا في بعضها واشترك معنا بعض اصدقائنا او اصدقائها في البعض الآخر . وقد نجحت في بعض الجلسات اكثر مما نجحت في غيرها وكان اقلها نجاحاً الجلسات التي حضرها اصدقاؤُها . ويظهر ان للنور شأناً في بعض الاعمال فبعضها لا يظهر جيداً الا في النور الضئيل وبعضها يظهر جيداً مهما كان النور . وكانت الاعمال في الجلسات الاولى ابسط مما صارت في الجلسات الاخيرة وكانت تتوالى بسرعة آخذاً بعضها برقاب بعض او تتباطأ فيكون بينها فترات طويلة او قصيرة . واذا تباطأت طلبت اسابيا إضعاف النور لكننا لم نرَ ان اضعافهُ كان يسرع الاعمال بل ان الاعمال كانت على اقلها في الجلسات التي كان فيها الظلام على اشدهِ

وهاك وصف جلسة من الجلسات . يُخرَج كل ما لا لزوم لهُ من الاثاث قبل الوقت المعين لمجيء اسابيا بنصف ساعة وتوضع الستارة وتوضع الاشياء داخلها كما تقدم ويبقى منا اثنان في الغرفة وينزل الثالث لاستقبال اسابيا فتأتي ومعها زوجها فيتركها هناك ويمضي ويصعد بها الرجل الذي قابلها الينا على السلالم وهي خمسة لان الغرفة في الدور الخامس فتجلس في مكانها على الكرسي وظهرها الى الستارة . وقد تبتدئ الاعمال او الظواهر حال وصولها وقد تتأخر نصف ساعة فاكثر الى ساعة او ساعة ونصف . ويظهر كأن التأخر ينتج اما عن ان اسابيا تأتي طربة فتكثر من الكلام ولا تلتفت الى اظهار الظواهر المطلوبة واما عن انها تصل متعبة غير قادرة على شيء . فاذا كانت في الحالة الاولى لم يكن لنا سبيل الاَّ الانتظار حتى تتعب من الكلام وتسكت ومتى تعبت اخذت تتثآب فنعلم ان الظواهر ستبتدئ حالاً ولاسيما اذا اردفت التثاؤب بسعال شديد

وقد تقع في غيبوبة وقد تبقى مستيقظة وقد تكون بين بين وهو الاكثر . وحينما تكون في هذه الحالة تكون اهدأ منها وهي مستيقظة وتدَّعي حينئذٍ انها لا تتذكر شيئًا مما حدث واذا وقفت في الغيبوبة التامة ظهر كأنها نائمة وقد ترتمي بين ايدينا كأنها لا تقوى على الحركة . وكلامها في هذه الحالة قليل ونغمتها منخفضة جدًّا وتشير حينئذٍ الى نفسها بضمير الغائب لا بضمير المتكلم وتدَّعي انها تحت سلطة روح رجل اسمهُ يوحنا كنج وانهُ هو الفعَّال الاصلي في اكثر الاعمال المنسوبة اليها . واذا كانت في الحالة الوسطى بين اليقظة والغيبوبة تراها في خلاف دائم بينها وبين هذه الروح . والروح تعلن مرادها بهز المائدة او رفعها مشيرة بما يلزم عملهُ لادارة الجلسة والتحكم بالنور واسابيا تعترض على ذلك غالبًا اعتراضًا شديداً . فاربع هزات تدل على طلب الاقلال من النور فتهتز المائدة واسابيا تعترض على ذلك لكن المائدة تعيد هزها الى ان ترضخ اسابيا لحكمها وتطلب اقلال النور

اما الاعمال او الظواهر فاولها ارتفاع المائدة التي كنا جلوسًا حولها فانها تأخذ اولاً تهتز ثم ترتفع عن الارض قدمًا او قدمين وتبقى مرتفعة مدة قصيرة وتعود الى مكانها وقد تكون يدا اسابيا عليها وقد لا تكونان عليها بل تكونان مرتفعتين عنها قدمًا او قدمين ونحن ممسكون بهما بايدينا او تكونان موضوعتين في حضنها . وارتفاع المائدة من اكثر الافعال حدوثًا وهو يقع والنور في الغرفة على اسطعهِ ولم يكن في طاقتنا ان نمنعهُ ولم يكن مع اسابيا شنا كل مما ترفع بهِ الموائد عادة ولم نستطع ان نشعر بانها كانت تحرك ركبتيها او رجليها . وكان بينها وبين المائدة فسحة ظاهرة وكانت المائدة ترتفع احيانًا على قائمتين من قوائمها الاربع

وتبقى كذلك نحو دقيقة ونحن ندفعها من الاعلى بايدينا لتنخفض فتنخفض ثم ترتفع كأنها متصلة بشيءٍ مرن ثم تثب عن الارض وترفع قوائمها الاربع

ومن الاعمال الكثيرة الحدوث حركة الستارة وراء اسابيا ٠ وكانت اسابيا في الغالب تطلب تقليل النور لاجل هذه الحركة ولكن كان يبقى من النور ما يكفي لرؤيتها وكانت تمديدها نحو الستارة ونحن ممسكون بها حتى تصير على قدم منها او على ثلثي قدم فتنتفخ الستارة اي تقترب من اسابيا من وسطها ٠ وقد تفعل الستارة ذلك اذا مدَّ احدنا يدهُ اليها بناءً على طلب اسابيا ٠ وكنا نتأكد دائماً انهُ لا اتصال بين يد اسابيا والستارة وذلك بامرار ايدينا بينهما ولم نكن نرى من الستارة مقاومة لمن يدفعها الى مكانها ٠ ولا كان في الامكان جذب الستارة بخيط او شنكل من غير ان يرى تأثيرهُ فيها لانها رقيقة جدًّا ٠ وكانت تتحرَّك احيانًا حركات عنيفة فتندفع حتى يعلو طرفها الاسفل فوق المائدة التي كنا حولها كل ذلك واسابيا امامنا لا تتحرك ونحن نراها بعيوننا ويداها على المائدة ونحن ممسكون بهما ورجلاها تحت المائدة بعيدتان عن الستارة

ومن هذه الاعمال ان شبحًا غير منظور كان يلمسنا من وقت الى آخر والنور كافٍ لان نرى بهِ وجه اسابيا ويديها وكان ذلك الشبح يلمس اذرعنا واكتافنا ورؤُوسنا ونحن لا نراهُ بل نشعر كأَنَّ انامل يد تلمسنا

ومنها لمسنا من وراء الستارة بيد حقيقية ذات كف واصابع واظافر فكانت تقبض على ايدينا واذرعنا واكتافنا ورؤُوسنا وكان ذلك يحدث ويدا اسابيا على المائدة امامنا ونحن ممسكون بهما ٠ واول مرة حدث ذلك لي كنت جالسًا امام اسابيا على الجانب المقابل لها من المائدة وكرنجتون وبغدلي على جانبي المائدة عن يمينها ويسارها وكانا يقولان انهما يشعران بيد تلمسهما من وراء الستارة فقلت لاسابيا انني اود ان اشعر بمثل ذلك فامرتني ان اقف الى جانب المائدة وامد يدي فوق رأسها الى جهة الستارة فمددت يدي على نحو ثلاث اقدام فوق رأسها فشعرت حالاً بنقر على اناملي ثم شعرت ان يداً حقيقية قبضت على اصبعي السبَّابة باربع من اصابعها ثلاث من الاعلى والابهام من الاسفل وشدَّت على اصبعي حتى شعرت ان اظافرها غرزت في لحمي ثم قبضت على يدي كلها وشعرت حينئذٍ براحتها قابضة على يدي وكان كرنجتون وبغدلي قابضين على يدي اسابيا حينئذٍ ٠ فلا بد من شخص آخر وراء الستارة قبض على يدي ولم يكن وراءها احد

ثم ان اليد التي قبضت على يدي ظهرت للعيان من فتحة الستارة ومُدَّت فوق رأس اسابيا

وكانت احياناً بيضاء كيد الميت واحياناً في لونها الطبيعي ورأيناها مرةً وشعرنا بها في وقت واحد وذلك انها خرجت من عند طرف الستارة مما يلي الحائط وامسكت بالمستر بغدلي وجذبتهُ حتى كادت تقلبهُ عن الكرسي

وكنا نسمع قلقلة داخل الستارة كلما تحركت كأَنَّ احداً يهز المائدة التي داخلها وما عليها وكانت المائدة تهتز احياناً اهتزازاً عنيفاً حتى يسقط ما عليها وتخرج من الغرفة وتستقر على مائدتنا فيكون طرف سطحها على المائدة وقوائمها الى جهة الستارة افقية كأَنَّ يداً ممسكة بقوائمها من وراء الستارة وتكرَّر ذلك مراراً حتى اضطررنا ان نربطها في المكان الذي كانت فيهِ ومن ثم جعلت الاشياء التي وضعناها عليها تنتقل الينا الواحد بعد الآخر فأتى المزمار ولمس رأسي ووثب الدف الى حضني والبيانو الى رأس صديق كان جالساً معنا في احدى الجلسات ودق الجرس وخرج من وراء الستارة وهو يدق في الهواء فوق رأس اسابيا ثم عُلّق بشعرها فمددت يدي لانزعهُ فسبقتني اليد من وراء الستارة ونزعتهُ وجعلت تدقهُ فوق رأس اسابيا ثم رمتهُ على المائدة امامنا وكان النور كافياً حينئذٍ للكاتب ليرى اليد التي امسكت الجرس وهو على ثماني اقدام او تسع من اسابيا

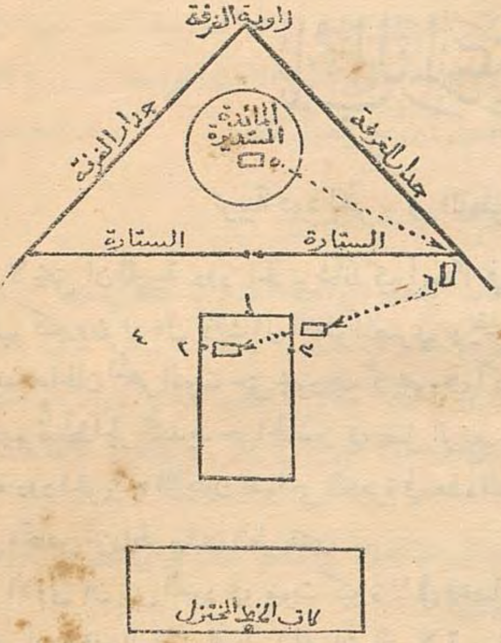

ووضعنا طيناً على لوح صغير ووضعناهُ على المائدة داخل الستارة حتى اذا لمستهُ يد الشبح انطبعت اناملها في الطين . وترى رسم ما حدث حينئذٍ في الشكل المتقدم فان اسابيا كانت جالسة عند الرقم ١ وانا عند الرقم ٢ ويمين اسابيا في يدي وكنت قد دعوت صديقاً لنا اسمهُ المستر ريان فكان جالساً عند الرقم ٣ ويسار اسابيا في يدهِ ووقف المستر كرنجتون ورائي عند الرقم ٤ وكان اللوح على المائدة المستديرة عند الرقم ٥ فخرج من وراء الستارة ورأى المستر كرنجتون حينئذٍ انهُ مر من طرفها عند الرقم ٦ وسار في الهواء الى فوق كتف المستر ريان ورأيتهُ انا

حينئذٍ فنزل رويداً رويداً من فوق يمين المستر ريان التي كانت ممسكة بيسار اسابيا ومرَّ فوق المائدة واستقرَّ على يدي التي كانت ممسكة يد اسابيا

ومن الظواهر التي ظهرت ايضاً انوار بدت مرتين فوق رأس اسابيا ومرةً عند الستارة بعيداً عنها وبعض هذه الانوار ازرق الى الخضرة وبعضها اصفر وبعضها كالشرر المتطاير من القطب الكهربائي

وسنتمم هذه المقالة في الجزء التالي ونذكر رأينا في تعليل ما فيها

بَابُ الزِّرَاعَةِ

تربية دود الحرير في القطر المصري

لا يخفى ان لتربية دود الحرير شأناً كبيراً جدًّا في كل البلدان التي تعتمد عليها. وقد جرَّب كثيرون ادخال ذلك الى القطر المصري فلم يفلحوا مع ان التوت كثير فيهِ وتربتهُ واقليمهُ صالحان لشجر التوت حتى يجود فيهِ كما يجود في اكثر البلدان صلاحية لهُ وسبب عدم نجاحهم تسلُّط الحر الشديد حر الخماسين في فصل الربيع حينما يكون الدود عائشاً. وقد جرَّبت تربية دود الحرير في الزيتون بضواحي القاهرة في هذه السنة وفي السنة الماضية فوجدت انهُ يمكن التخلُّص من الحر بهاتين الطريقتين

الاولى ان يربَّى الدود في بيوت كبيرة لا في اخصاص كما يفعل اهالي سواحل بيروت ويجب ان توضع السقائل لهُ على الجدران التي لا تصيبها الشمس وان يكون في الغرف التي يربى فيها شبابيك بحرية (شمالية) تفتح دائماً الاَّ ايام الحر الشديد ويطعم الدود حينئذٍ كلما جفَّ ورقهُ ولو اقتضى الحال ان يطعم عشر مرات في كل اربع وعشرين ساعة وتقلل العلفات وقت الصوم واذا هبَّت رياح الخماسين يُصَب ماءٌ على بلاط الغرف لتبريد الهواء ويواظب على الاطعام حتى ينتهي الموسم في ٤٠ يوماً الى ٤٥

والثانية ان يبكر في التنخيل واظهار الدود حتى ينتهي الموسم قبل اشتداد الحر. وقد قسمت البزر الذي كان عندي هذه السنة الى ثلاثة اقسام وجعلت قسماً منها يخرج اولاً وقسماً يخرج بعدهُ بعشرة ايام وقسماً يخرج بعد هذا باسبوع وكان البزر كلهُ جيداً ليس فيهِ اقل

مرض وسلم كلهُ وشرانق ولكن الذي خرج اولاً كبر كثيراً وكانت شرانقهُ كبيرة سميكة جيدة جدًّا والذي خرج بعدهُ كان اصغر منهُ وشرانقهُ اصغر من شرانقهِ وارق لان الحر اضرَّ بهِ والذي خرج اخيراً كان اصغر من الجميع وشرانقهُ صغيرة رقيقة اصغر من شرانق الثاني وارق منها لان الحر اضرَّ بهِ كثيراً

فاذا اخرج الدود باكراً في اوائل شهر مارس وربي في البيوت واطعم دائمًا حتى يسرع نموهُ نجا من الحر وجاءت شرانقهُ كبيرة سميكة جيدة الحرير

ويظهر لي ان التوت الذي في جنينة الجناب الخديوي حول سراي القبة يكفي لتربية دود ينتج مئتي اقة او ثلاثمائة اقة من الشرانق فعسى ان تجرَّب تربية الدود عليها وتتبَّع الارشادات التي ذكرتها حتى اذا ثبتت صحتها اكثر اصحاب الاطيان الواسعة من زرع التوت وتربية دود الحرير فيصير في البلاد محصول ثمين مع محصول القطن نعوم مغبغب

اصلاح المواشي المصرية

كتب المستر غودتشليد في كتاب الجمعية الزراعية الخديوية مقالة في هذا الموضوع قال فيها ما خلاصتهُ ان موسم القطن لا يجود في القطر ما لم تحرث ارضهُ جيداً ولذلك فالمواشي القوية القادرة على العمل ضرورية جدًّا ولكن هذه المواشي نادرة في القطر المصري وغالية الثمن لقلة الاهتمام بتربيتها فيهِ . ولا يجوز اهمال امر مثل هذا لهُ علاقة شديدة بالزراعة ولاسيما بزراعة القطن

ولعلَّ تربية المواشي اكثر فروع الزراعة اهمالاً في القطر المصري ولذلك ذكرنا الامور التالية لعلها تأتي بفائدة للذين يلتفتون اليها

في المواشي المصرية صفات حسنة يجب تقويتها وصفات رديئة يجب اصلاحها . الاَّ ان الصفات الحسنة اقل من الصفات الرديئة . ومما يذكر بالاسف ان البلاد المصرية اقل البلدان صلاحية لتربية المواشي فانهُ ليس فيها مراعٍ والمراعي الطبيعية ضرورية والاَّ كان علف المواشي غاليًا جدًّا بسبب غلاء الارض ولذلك لا يستطيع كبار الفلاحين ان يعتنوا بتوليد المواشي وتربيتها فيشترونها من صغار الفلاحين وهؤُلاء يولدونها كيفما اتفق ويرعونها ما يجدونهُ من الحشائش على جسور الترع وما يقتلعونهُ وقت خف الذرة ويضطر كبار المزارعين ان يشتروا ما يجدونهُ عند هؤُلاء الفلاحين الصغار . ولا بدَّ من ان تقل المواشي الجيدة سنة بعد سنة بغلاء الاطيان ما لم تبذل الوسائل اللازمة لاصلاحها

فماذا يجب ان يُعمل لاجل اصلاح المواشي او لاجل تكثير المواشي القوية القادرة على الحرث الجيد والخدمة الكافية حتى يجود موسم القطن ولاسيما بعد ان اخذت بلدان كثيرة في مناظرة القطر المصري

والجواب انهُ لا بد من تعيين لجنة تعتني بتأْصيل المواشي وانتاج الجيد منها وهذه اللجنة تعين لها لجاناً فرعية في المديريات والمراكز لكي توزع الثيران القوية كما فعلت حكومة الهند فاستفادت بلاد الهند من ذلك فائدة كبيرة

الا ان هذه اللجنة تجد امامها مصاعب كثيرة اولها ان تعلم ماذا تختار من المواشي للشروع في الاصلاح المطلوب · واول ما يخطر على البال جلب الثيران من اوربا لتطلق على البقر الاهلية ولكن هذا النوع من التوليد او التجنيس غير مناسب والمرجح انهُ يضر ضرراً كبيراً لشدَّة البعد بين المواشي البلدية والمواشي الاوربية · فانهُ اذا كان البعد شاسعاً بين صنفين ممتازين من الحيوان فالغالب ان نسلهما يعود الى الاصل الذي تولَّد منهُ ذانك الصنفان أي يأْتي مشابهاً للاصل القديم الذي تولدت منهُ المواشي الاوربية فتكون النتيجة الضرر بدل النفع وهذا ما يسمى في علم الاحياء بالرجوع الى الاصل · واذا لم يظهر هذا الرجوع الى الاصل في النتاج الاول ظهر في ما ينتج منهُ · ولذلك يرجح ان اطلاق الثيران الاوربية على الاناث البلدية يفسد النتاج ولا يصلحهُ ولو وجد صنف اوربي جيد متولد من الاصل الذي تولدت منهُ المواشي المصرية لكانت ثيران هذا الصنف تجيد المواشي المصرية كما تجيد الاحصنة الانكليزية المؤَصلة نتاج الافراس العربية لان الاحصنة الانكليزية ناتجة من اصل عربي ولكن لا يظهر انهُ يوجد صنف جيد من البقر الاوربية اصلهُ مصري

وزد على ذلك ان اقليم مصر مخالف جدًّا لاقليم اوربا من حيث الحر والبرد فلا تحتملهُ المواشي المعتادة اقليم اوربا · والمواشي المصرية اعتادت بعض الامراض التي تنتشر في القطر المصري فلم تعد تموت بها وهذه الامراض تميت المواشي التي يؤْتى بها من الخارج

فلذلك كلهِ ولأَن في المواشي المصرية صفات جيدة تجعلها اصلح من غيرها لاقليم مصر يُفضَّل ان يقع الاختيار على اجود المواشي المصرية وتبذل العناية في تقوية الصفات الجيدة التي فيها واضعاف الصفات الرديئة وذلك بان تشتري اللجنة اجود الثيران واجود الابقار وتختار من نتاجها اجود الثيران للنتاج كما جرى في كل البلدان التي أُصِّلت مواشيها وحسن نوعها بناءً على ناموس الوراثة العام · وينظر في الاختيار الى الصفات التي يراد تقويتها في النتاج

وأَلحق الكاتب بمقالتهِ صور ثورين مصريين وصور ثور انكليزي من النوع المعروف بقصير القرون. ويظهر من هذه الصور الفوتوغرافية الاصل ان الثور المصري حتى اجوده ُ دقيق ضامر من وراء كتفيهِ اضلاعه ُ قليلة التقوُّس ولذلك يكون صدره ُ ضيقاً فلا تتسع رئتاه ُ واحشاؤُه ُ الاتساع اللازم للقوَّة . وظهره ُ ضيق وكفله ُ ضيق ايضاً . وضيق الكفل يضعف قوتهُ على جر الاثقال وجر المحاريث الثقيلة . واما صور الثور الانكليزي فتدل على انه ُ واسع الصدر والظهر والكفل وكل ذلك لازم لزيادة القوة وكثرة اللحم . ثم قال ان الذين انيط بهم اصلاح نسل المواشي نظروا الى ثلاثة امور وهي كثرة اللبن وكثرة اللحم وعظم القوة فاصَّلوا بعضها من الجهة الاولى حتى صار عندهم ابقار غزيرة اللبن جدًّا واصَّلوا بعضها من الجهة الثانية حتى صار عندهم ابقار كثيرة اللحم واصَّلوا بعضها من الجهة الثالثة حتى صار عندهم ثيران قوية جدًّا على العمل فاذا امكن تأْصيل المواشي حتى تكون غزيرة اللبن وكثيرة اللحم وشديدة القوة في وقت واحد فذلك غاية المراد ولكن الصفات اللازمة للمزية الواحدة تمنع تقوية المزية الاخرى فيتعذر ان تجتمع هذهِ المزايا كلها في حيوان واحد او في صنف واحد من المواشي اذ قد وجد بالاختبار ان البقرة الغزيرة اللبن تكون ضيقة المقدَّم صغيرة القد وهذا الشكل لا يصلح لكثرة اللحم ولا لشدَّة القوة . والمواشي الصالحة للذبح يجب ان تكون غزيرة اللحم دقيقة العظام . والصالحة للشغل يجب ان تكون غليظة العظام وعظامها موضوعة على شكل يجعلها قادرة على الشد . وهذا النوع الاخير من المواشي هو ما تمس الحاجة اليهِ في القطر المصري . ومن المحتمل انهُ اذا أُصلحت مواشي القطر من هذا الوجه أُصلحت ايضاً من الوجهين الآخرين فيزيد لحمها ويزيد لبنها ايضاً اما اللحم فيزيد اتساع جرم الحيوان واما اللبن فلا يحتمل انهُ يقل عما هو الآن وقد يزيد لان البقرة القوية التي تلد عجلاً كبيراً تهيء الطبيعة لهُ فيها لبناً غزيراً يكفيهِ

واستطرد الكاتب الى كيفية تربية المواشي التي يراد اصلاح النسل بها وكيفية تدبير العلف لها وربما لخصنا ذلك في فرصة أُخرى . ونحن نرى كما يرى هو انهُ لا بدَّ من ان تهتم الحكومة باصلاح مواشي القطر على طريقة علمية ولكننا لسنا على ثقة ان الثيران القوية لازمة لحرث ارض القطن لاننا لا نرى ان تعميق الحرث يجيد موسم القطن فاننا نرى بالاختبار ان الارض الشديدة الخصب تنمي ورق القطن ولا تكثر لوزه ُ . رأَينا قطناً زرع في الربيع الماضي في ارض جيدة بعد تقصيبها فنما فيها حتى صار شجراً كبيراً علو الشجرة منهُ متران او اكثر وكانت الاشجار كثيرة الاغصان غضَّة الورق لا يستطيع المرء ان يمرَّ بينها الاَّ بكل

صعوبة ومع ذلك لم يحاسب الفدان منها على قنطار من القطن مع انها لو زرعت شعيراً مثلاً لحاسب الفدان منها على عشرة ارادب او اكثر

موسم القطن

اختلف المقدرون في تقدير موسم القطن الاميركاني فقدَّرهُ بعضهم باحد عشر مليوناً ونصف مليون من البالات وهو اعلى تقدير لهُ وقدَّرهُ غيرهم بتسعة ملايين وثلاثة ارباع المليون وهو اوطأ تقدير

اما الموسم المصري فالمبالغون في قلتهِ يقولون انهُ لا يبلغ خمسة ملايين قنطار والمبالغون في جودتهِ لا يوصلونهُ الى اكثر من ستة ملايين وربع مليون فاذا فرضنا انهُ بلغ اكثر التقديرين فتكون نسبتهُ الى الموسمين السابقين هكذا

	سنة ١٩٠٩ تقديراً	سنة ١٩٠٨ حقيقة	سنة ١٩٠٧ حقيقة
المحصول	٦٢٥٠٠٠٠	٦٧٥١٠٠٠	٧٢٣٥٠٠٠
متأخرات من الموسم الماضي	٠٣٥٥٠٠٠	٠٤٦٣٠٠٠	٠١٧٢٠٠٠
فالجملة	٦٦٠٥٠٠٠	٧٢١٤٠٠٠	٧٤٠٧٠٠٠

المقطوعية

	تقديراً	حقيقة	حقيقة
المرسل الى انكلترا	٣٣٥٠٠٠٠	٣٢٠٦٠٠٠	٣٤٠٥٠٠٠
« « اوربا	٢٨٥٠٠٠٠	٢٨٤١ ٠٠	٢٩ ١٠٠٠
« « اميركا	٠٧٠٠٠٠٠	٠٧٦٦٠٠٠	٠٦٠٦٠٠٠
المقطوعية المحلية	٠٠٢٢٠٠٠	٠٠٤٦٠٠٠	٠٠٣٢٠٠٠
اجمال المقطوعية	٦٩٢٢٠٠٠	٦٨٥٩٠٠٠	٦٩٤٤٠٠٠
الموجودات	٦٦٠٥٠٠٠	٧٢١٤٠٠٠	٧٤٠٧٠ ٠
فالزيادة او النقص في آخر الموسم	٣١٧٠٠٠ نقص	٣٥٥٠٠٠ زيادة	٤٦٣٠٠٠ زيادة

واذا اضيف الى المتأخرات التي كانت في الاسكندرية ما كان في لفربول وسائر اوربا فالمحتمل بقاؤُهُ في آخر اغسطس المقبل من القطن المصري هو ١٨ الف بالة مقابل ٩١ الف بالة في آخر اغسطس هذا العام و ١١٩ الف بالة في العام الماضي . واما اذا ثبت ان محصول هذا

العام اقل من ستة ملايين قنطار وبلغ خمسة ملايين او خمسة ونصفًا قصَّر عن طلب المعامل كثيراً ولا يبعد ان يزيد سعرهُ حينئذٍ زيادة فاحشة ويزيد سعر الموسم المقبل ايضاً فيبلغ سعر القنطار ستة جنيهات او اكثر

ربح الزراعة ومصاريفها

اطلعنا على التفصيل التالي في حساب المدرسة الزراعية في الجيزة عن سنة ١٩٠٦ وهو يذكر في باب الايرادات ثمن الحاصلات كلها وفي باب المصروفات المصروفات كلها ومعها مال الحكومة وايجار الارض وثمن الماء فحذفنا هذه الثلاثة لان المراد معرفة مصاريف الزراعة بالنسبة الى ايرادتها

٣٠ فدانًا و ١٨ قيراطًا من القطن العفيفي

مليم	جنيه		مليم	جنيه	
٨٨٣	١٧	حرث سنة ١٩٠٥	٥٠٠	٦٢٥	ثمن ٨ و ١٦٦ قنطار بسعر ٣٧٥
٦٢٦	٦٣	اجور عمال	٣٧٥	١٥	ثمن حطب قطن
٢٤٠	٣٤	مصروف ثيران			
٣٧٥	٦	تقاوي			
٧٣١	٢٩	سماد كيماوي			
٠٠٠	٣٠	سباخ بلدي			
٨٩٦	٤٨	جمع القطن			
٥٠٧	٣	منشورات			
٢٥٨	٢٣٤	والجملة			
٦١٧	٤٠٦	صافي الايراد			
٨٧٥	٦٤٠		٨٧٥	٦٤٠	

اي ان صافي ايراد فدان القطن نحو ١٣٠٠ غرش يخرج منها المال والايجار ومصاريف الري . وقد ذكر في المصروفات ان الايجار والماء والمال كل ذلك بلغ ١١٩ جنيهًا اي ان ايجار الفدان ومالهُ وريهُ بلغ ٣٨٧ غرشاً والاطيان التي محصول القطن فيها يبلغ خمسة قناطير ونصف قنطار لا يكون مالها اقل من مئة وعشرين غرشاً فيكون الايجار ومصاريف الري ٢٦٧ غرشاً وهذا غريب جدًّا وحبذا لو فصّل

ومما يستحق الذكر ان مصاريف تسميد الفدان بالسماد الكيماوي والبلدي بلغت نحو مئتي غرش

٦ افدنة من القطن العباسي

مليم	جنيه		مليم	جنيه	
٩٠٧	١٠	اجور عمال	١٢٠	١٢٢	ثمن ٥٣ و ٣٠ قنطار سعر ٤٠٠
١٦٠	٤	اجور ثيران	٠٠	٣	حطب القطن
٢٧٥	١	تقاوي			
٣٢٢	٧	سماد كيماوي			
٧٨٢	٩	جمع القطن			
٤٤٦	٣٣				
٦٧٤	٩١	صافي ايراد			
١٢٠	١٢٥		١٢٠	١٢٥	

فصافي ايراد الفدان ١٥٢٨ غرشاً يخرج منها ايجار الارض والمال ومصاريف الري ·
وقد كانت مصاريف الزراعة عن الفدان في القطن العفيفي نحو ٧٦٠ غرشاً وفي القطن العباسي نحو ٥٥٧ غرشاً وهذه المصاريف كثيرة في الحالين

وبلغت مصاريف زراعة ١٢ فداناً من القمح ٥٨ جنيهاً وبلغ محصولها مئة اردب واردبين وثلاثة ارباع بيع الاردب منها بمئة وعشرين غرشاً فبلغ ثمنها ١٢٣ جنيهاً وثمن تبنها وهو ٨٩ حملاً نحو ٤٥ جنيهاً والجملة ١٦٨ جنيهاً فصافي الايراد ١١٠ جنيهات يطرح منها المال والايجار ومصاريف الري

وبلغت مصاريف زراعة ٦ افدنة من الشعير ٣٠ جنيهاً وايرادها من ثمن الشعير والتبن ٥٦ جنيهاً

ومصاريف اربعة افدنة و ١٢ قيراطاً من الذرة ١٤ جنيهاً وايرادها من الذرة والحطب ٣٩ جنيهاً فصافي الايراد ٢٥ جنيهاً

واذا كان ما ذكر من مصاريف الايجار والمال والري مقسماً بالقسط على الزراعات فصافي ريع الفدان من القطن العفيفي ٩٣٥ غرشاً ومن القطن العباسي ١١٤١ غرشاً ومن القمح ٦٤١ غرشاً ومن الشعير ٦٥٧ غرشاً ومن الذرة ٤٣٣ غرشاً· وسنورد خلاصة التفصيل الذمي ذكر مع هذه الارقام في الجزء التالي

باب التقريظ والانتقاد

عبرة وذكرى

او

كلمة حول الدستور

فصول ادبية فلسفية تتعلق بالشورى انشأها حضرة الكاتب العصري المجيد الدكتور ايوب ثابت اجابة لطلب صديقهِ نجيب افندي شوشاني ونشرت في جريدتي الوطن والثبات تباعًا فكان اقبال الناس على مطالعتها كبيراً وكان لها وقع في النفوس. وقد اعيد طبعها الآن في كراس واحد وأُضيف اليها قصيدتان لحضرة منشئها من موضوعها. كتب هذه الفصول قبل الانقلاب الاخير لكنهُ سبق فانبأَ بحدوثهِ واشار ببقاء جمعية الاتحاد والترقي كحارس ساهر على الدستور ريثما «يرسخ ويتأَيد الحكم النيابي في البلاد». الى ان قال وليس من خطر في بقائها او تداخلها في الشؤُون بل الخطر كل الخطر انما هو في تقلص نفوذها والويل وشقاء الامة انما هما في ملاشاتهِ. وهاك فصلاً من هذه الفصول لما فيهِ من الفوائد وللدلالة على سائر ما كتب المؤَلف

كيف نشأَت السلطة

خلق الناس في الحقوق سواءً   فتقوى قوم وسادوا البقيه
زعموا ان الملك آتٍ اليهم   بدءَ بدءٍ من سلطة علويه
فكأَني بهم يقولون وهمًا   نحن لسنا من طينةٍ ادميه
اورثوهُ بعد الممات بنيهم   امشاعٌ حقوقنا البشريه
ظلموا الشعب واستبدوا دهوراً   انما لم يدم رقاد البريه
قام فيهم ذوو العقول فنادوا   انتم الملك والملوك الرعيه
ليس حقًّا ان يحكم الكل فردٌ   انما حق الحكم للاكثريه
ناهضوهم مستهلكين ففازوا   وغدا الكل في الحقوق سويه

كل ما يرجع الحكم فيهِ مما يتعلق بالمجتمع الانساني الى ما قبل زمن التاريخ لا يتعدى

حد الحدس والتخمين او اذا تعدى الى ما وراء ذلك فلا يخرج عن حدود الآراء العلمية ومما يدخل تحت هذا الباب مما نحن في البحث فيهِ هو كيفية نشوء السلطة

كيف نشأَت السلطة — صوّر لنفسك الارض والجليد لا يزال كاسياً لجزءٍ كبير من سطحها على اثر دور جليدي انتابها والوحش من الوعل الارلندي الى دب الكهف الى واحد القرن الصوفي الى المموت الشعري يضرب في اكنافها والانسان بينها لا كساء لهُ الاَّ ما كان من جلدها ولا قوت غير ما ينازعها ولا مأوى غير ما يشاركها من كهف او شق في صخر ولا سلاح يدفع بهِ هجماتها الاَّ ما كان من قرنها او الحجر الصوان فاذا ما تصورت كل ذلك تمثل لك ما يقارب حالة اجدادك الاولين وانتجت لنفسك ان وجود الانسان على مثل تلك الحالة بين تلك الاوساط والعوامل اضطرهُ حفظاً لكيانهِ الى التعاضد والتضام فكان ذلك بدءَ تشكيل «الجماعة» او سمها ما شئت

ثم عد فصوّر لنفسك احد افراد «الجماعة» ممن ميزتهم الطبيعة بشدة بأس او سمو عقل وقد دفعهُ حب الذات الى الانتفاع مما ميز بهِ فيخيل لك كيف نشأَت السلطة وكان هو مغتصبها

او اذا انكرت هذا المذهب فصور لنفسك ان «الجماعة» ادركوا وجه الضعف في استبقاء السلطة مشتتة وانتجوا ان جمعها يكسبهم قوة في تنازع البقاء فارتأَوا عقد السلطة لواحد منهم او اكثر فالمدار واحد يدفعهم الى ذلك عامل حب الذات فيخيل لك كيف نشأَت السلطة وكان هو مكتسبها

انما لا مهرب لك كيف تصورت نشأَتها من التسليم بانها اما مغتصبة واما مكتسبة

هل من حقوق الشعب تقييد الملك — فاذا ذهبت الى انها مغتصبة اوجب عليك مذهبك هذا التسليم والاقرار بحق الشعب وهو الممثل المعنوي «للجماعة» في استرداد السلطة من الممثل المعنوي لمغتصب السلطة من «الجماعة» وهو الملك

او اذا ذهبت الى انها مكتسبة سأَلناك هل كان اكتسابها بقيد ام من غير قيد . فاذا قلت بل هو بقيد قلنا ان اقل ما يمكن ضمان هذا القيد «للجماعة» هو حق التمتع بالحرية الشخصية التي هي حق من حقوق الانسان الطبيعية . اذ لا يعقل ان الانسان معما هو مفطور عليهِ من حب الذات يرضى بالتنازل عن كل حقوقهِ لغيرهِ . او ما ترى الرقيق المولود في العبودية يحن دوماً الى الحرية فكيف يخيل لك ان المولود فيها يرضى بالتنازل عنها . فاذا صحَّ هذا الفرض اي ان العقد المعقود بين «الجماعة» ومكتسب السلطة تضمَّن وضمن «للجماعة» حق التمتع

بالحرية الذاتية وهو كما ترى فرض معقول نتج ان كل ما كان من شأنهِ مساس هذه الحقوق كان منافياً ضرورة لمضمون هذا القيد . فلما كان الامر كذلك وكان الحكم الاستبدادي المطلق منافياً لهذا الحق تأتى عن ذلك بداهةً انهُ منافٍ لمضمون القيد ايضاً وكان حلولهُ محل الحكم المقيد اخلالاً بالشرط او القيد المعقود بين «الجماعة» ومكتسب السلطة فلذلك ولان للانسان حقوقاً طبيعية ولهُ حق التمتع بها ولا يقوى على ذلك والسلطة مطلقة فقد حق للشعب وهو الممثل المعنوي «للجماعة» ان يعتبر العقد المعقود لغواً وان يعيد السلطة الى القيد او يستردها اليهِ من الممثل المعنوي لمكتسب السلطة في «الجماعة» وهو الملك

بل هب ان السلطة كانت مكتسبة من غير قيد فذلك لا يكون منهُ ان حقوق الانسان الطبيعية دخلت ضمن الحق المكتسب . ذلك لان هذه الحقوق هي حقوق معنوية وانما هي للانسان بصفتهِ انساناً اي بشراً لا كفرد او مجتمع من الناس وهو وان حق لهُ التمتع بها لا يحق لهُ التصرف بها من مثل التنازل عنها . لذلك كان ادخالها ضمن الحق المكتسب على فرض امكان وقوع ذلك عقداً فاسداً من اساسهِ وحق للشعب ان يعتبرهُ ملغى وان يظل متمتعاً بحريتهِ الذاتية وهي حق من حقوقهِ الطبيعية ما دام حيًّا

ثم لو فرض ان للجماعة حقًّا في التصرف في حقوق الانسان الطبيعية وانهم تنازلوا عنها لصاحب السلطة المكتسبة فانما يتقيد بهذا الفعل فاعلهُ دون غيرهِ ذلك لان هذه الحقوق ملازمة للانسان ولكل فرد من المجتمع الانساني حق التمتع بها فتنازل فريق عنها لا يفقد هذا الحق من غيرهِ . فلذلك ولان الشعب لم يكن من الفئة المتنازلة عنها قد حق لهُ ان يعتبر العقد لغواً وان يظل متمتعاً بحقوقهِ الطبيعية ما دام حيًّا

فترى مما تقدم وقد ذهبنا واياك على ما شئت من المذاهب ان لا مهرب لك كيف تصورت نشوءَ السلطة من الاقرار والتسليم بانها إما مغتصبة من الشعب وإما مكتسبة منهُ . فلما كان امرها كذلك وكان للانسان حقوق طبيعية لهُ حق التمتع بها وكان لا يقوى على ذلك والسلطة مطلقة مستبدة حق لهُ توصلا الى حقوقهِ ان يقيد السلطة كيف شاء وليس هو بعملهِ هذا متعدياً او مستبداً بل كانت هي المتعدية المستبدة لو انكرت عليهِ هذا الحق . فكما ان العمران لا يقوم بدون وجود السلطة فهو ايضاً لا يتم والشعب مقيد مفقود الحرية . بل ما افلحت الامم المعاصرة وترقت في سلم المدنية الا بعد ان قيدت السلطة بالدستور وحلت قيود الشعب واليك التاريخ اذا رجعت اليهِ تجد الصواب في هذا القول

والفصول كلها على هذا النسق من البحث الاجتماعي الفلسفي . وقد بيَّن فيها ان لا ترقي

الاَّ بعد تقييد الملك وان لا دخل للمذهب في ترقي الامم وانحطاطها ولا دخل للمذهب في سياسة اوربا والحقها بقصيدتين عامرتين في موضوعها عنوان الاولى وسلام على العظام البلية وعنوان الثانية «الحياة بعد الموت»

كتاب الحضارة القديمة

انتُدب حضرة العالم الاثري احمد بك كمال امين متحف القاهرة لالقاء المحاضرات في الجامعة المصرية عن الحضارة القديمة فالقى محاضرات كثيرة في تاريخ مصر القديم الى آخر العائلة الرابعة عشرة من الدول المصرية وجمع فيها خلاصة ما يعلم من احوال المصريين الاجتماعية في ذلك العهد . والمطلع على هذه المحاضرات يرى منها ان المصريين الاقدمين كانوا قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة ارقى مما انحطوا اليهِ منذ مئة سنة واثباتاً لذلك ننقل بعض ذكرهُ المؤَلف في الكلام على المعارف عند المصريين قال

«نبغ في عصر الملك (شوپسيسكاف) من الاسرة السادسة رجل من ارباب الرتب العالية طال عمرهُ حتى رأَى الملك (نفر كارى) ولقب نفسهُ في نقوش قبرهِ ناظراً لدار الكتب فكان هذا العنوان كافياً وحدهُ للدلالة على اتساع دائرة المعارف وعلى تقدم العلوم في عصر ذلك الملك حتى استوجب نشر المؤَلفات وبناءَ خزانة فاخرة لها ادخروا فيها السجلات وكتب التاريخ والتقارير والتحريرات المتبادلة بين الملك وكبار العمالات والامراء . وحفظوا فيها ايضاً وقفيات للمعابد ولافراد الامة واوراقاً شاملة لمسائل شتى مما كانت تقضي بهِ الامور في مملكة منظمة كمصر . وذلك خلاف ما كان يوجد فيها من النصوص الدينية القديمة . وما كان يتلى من الصلوات في عصر الاسر الاول وما كان يرتل من العبارات الدينية قبل (مينا) ومن المدائح لمعبودات النور وفيها الكتب السحرية والرمزية مثل كتاب الموتى وكتاب الرتب الدينية الخاصة بالمقابر وغير ذلك من الرسائل العلمية المدونة في الطب والهندسة والحساب والفلك والآداب والحكايات الفكاهية اللطيفة الخ »

وغنيٌّ عن البيان ان المباني المصرية والآثار كلها من كتابات وتماثيل ونقوش تدلُّ على مقدرة فائقة في نقل الاثقال ومهارة بالغة في الصناعة وحضارة واسعة تناولت كل المعايش وكل الحاجيات والكماليات من الحرث والزرع والخبز والطبخ الى ايلام الولائم والجلوس في مجالس الشراب والغناء والتضمخ بالعبير والملاب والتزين بالحلى المرصعة والحلل الموشَّاة

وفي هذه المحاضرات كثير من الصور والرسوم وبعضها غاية في الاتقان

آداب السلوك

ان من ادل الادلة على فائدة هذا الكتاب واحتياج الجمهور اليهِ نفاد الطبعة الاولى والثانية منهُ وظهور هذه الطبعة الثالثة مع كساد بضاعة الادب في بلادنا . والكتاب كذلك يحسن ان تكون نسخة منهُ في كل بيت وان يطالعهُ كل احد ولو كان التأدب وحسن السلوك فيهِ طبعاً ولا تخلو صفحة منهُ من فائدة او فوائد مثال ذلك قولهُ

ومما يحرم فعلهُ في الهيئات الاجتماعية وضع اليد على الشعر ، ولمس الوجه والرأس عموماً ، وتقليم الاظافر ، وحك الجلد ، وادخال الاصابع في الاذن ، والبصق ، والتثاؤب ، والجشاء ، الى غير ذلك من النقائص التي يشمئز الحضور من رؤْيتها * ولا مراءَ ان قواعد الرقة والادب وما اصطلح الناس عليهِ من سنن الحشمة والحياء ، ورسوم الزيارات والمقابلات ، يمكن ان تعود بالفوائد والصلاح اذا استعملت حق الاستعمال ، او بالضرر والفساد اذا لم تراعَ فيها شروط الكمال ، كما لو احتفلنا بهذه الرسوم وقدمناها على غيرها من الواجبات الحقيقية ، وجعلناها اهم شاغل نصب اعيننا ، فانها تصبح وقراً على كاهلنا ، وعثرة في سبيلنا ، ونصبح هزأَة للآخرين * اما اذا كانت طبيعية المجرى ، غريزية المبدإ ، خالية من التصنع والتكلف ، فقد نجونا من شرها * وقد اصاب من شبهها بثوب ناصع البياض يزين لابسهُ في حسن التحكيم ، ولا يعوقهُ عن الحركة والمسير ، واقل قصور او شذوذ عما يقتضيهِ الذوق السليم يشين الاديب ويعيبهُ ، ويظهر كبقعة سوداء على ذلك الثوب الابيض ، والآداب اشبه شيءٍ بالزيت الذي يصبُّ على ادوات الآلة لتسهل بهِ حركاتها وتسرع في دورانها وتتقي بهِ خطر الاحتكاك ، وهذا هو تأثير التأدب في السلوك والمعاملات ، فانهُ يسهل حركة الاعمال ويفتح ابواب التقدم والارتقاء * وقد قيل : كل شيءٍ يرخص اذا كثر الاَّ الادب فانهُ اذا كثر غلا

وقولهُ

وكثيراً ما يستدلُّ على اخلاق الشخص واطوارهِ من النظر الى ترتيب ثيابهِ ونظافتها ولونها ومقاسها * فاذا رأيت شابًّا حسن الهندام نظيف الثياب ثمينها كان في الغالب كريماً محبًّا للترتيب مواظباً على عملهِ ثابتاً في مبادئهِ ، واذا فضل اللون الاسود او الادكن في ثيابهِ كان رزيناً وقوراً * واما اذا بلغ في وقاية ملابسهِ من الاوساخ والغبار حتى صار يمنع نفسهُ عن الكدّ خوفاً عليها من التلف فهو محبٌّ لذاتهِ غير مكترث بذويهِ ومعارفهِ ، واذا بالغ

في النظافة الخارجية واهمل ثيابهُ الداخلية ونظافة جسمهِ كان مرائيًا مداهنًا —

يعطيكَ منْ طرفِ اللسانِ حلاوةً ويروغُ سنكَ كما يروغُ الثعلبُ

واذا اعتنى كثيراً بنظافة جسمهِ وترتيب ملابسهِ الداخلية دون الخارجية كان سليم النية منصفًا ينظر الى حقائق الامور لا الى ظواهرها ولا يهمهُ مدحهُ الناس او ذموهُ * ومن كان ثوبهُ نظيفًا لكنهُ غير مرتب غلب في طباعهِ الاسراف والكسل ، واذا كان بعض ملابسهِ مرتبًا دون البعض الآخر فهو محب للعمل لكنهُ قليل الصبر ، واما اذا تفاوت بعضها عن بعض في الشكل او الحجم او القيمة او القدم فهو ضعيف الرأي قصير النظر لا لا يصلح ان يدير عملاً من الاعمال

وفي آخر الكتاب وصف اربعين لعبةً من الالعاب البيتية وشرح ٢٥ احجية وكلام مسهب على لغة الازهار والاشجار وعلى خرافات اهل الغرب وما اشبه

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مدارس الاطفال الصناعية

رأينا منذ مدة مقالة للادي دارون زوجة السر جورج دارون بن دارون الشهير وصفت فيها مدارس الاطفال الصناعية في بلاد اسوج فاستغربنا تعلُّم الاطفال للصنائع وعملهم بها ولكننا لما زرنا دمشق هذا الصيف ورأينا معمل الخواجه نعسان وجدنا فيهِ اولاداً لا يزيد عمر الولد منهم على سبع سنوات وهم يعملون في صنع الادوات النحاسية والخشبية ولاسيما في حفر النحاس بمهارة غريبة ويأخذون اجوراً غير قليلة بالنسبة الى سنهم فعدنا الى مقالة لادي دارون فوجدنا ان المدارس الصغيرة تفتح في بلاد اسوج من الصبح الى الساعة الواحدة بعد الظهر فقط فاذا كانت المدرسة لا تسع كل الاولاد أُخرج الصغار منها الذين سنهم من ٧ الى ٩ سنوات وعُلّموا فيها بعد الظهر فقط فيكونون بلا مدرسة من الصبح الى الساعة

الواحدة بعد الظهر . وقد اهتم بامرهم بعض السيدات وانشأت لهم مدارس صناعية يتعلمون فيها النجارة والحدادة والحياكة والحباكة والسكافة والخياطة وعمل السلال وحفر الخشب وما اشبه من الصنائع ويعملون فيها قبل الظهر ويذهبون الى المدارس التي يتعلمون فيها القراءة والكتابة بعد الظهر . وكل الاولاد الذين تعلموا في هذه المدارس الصناعية لم يرتكب احد منهم جريمة لما شبوا ولا دخل محكمة . والمدرسة تطعمهم الظهر والمساء بدل عملهم فيها والاولاد يقبلون عليها سواء اطعموا فيها او لم يطعموا لان الطعام لا يقدَّم في فسحات الاعياد ومع ذلك يترددون عليها حينئذٍ رغبةً في العمل . وهم يتعلمون في هذه المدارس الصناعية صبياناً وبنات معاً والبنات منهم يساعدن الطباخين في طبخ الاطعمة وكلهم يصلحون احذيتهم وثيابهم ولكنهم يفضلون خياطة الثياب الجديدة على ترقيع الثياب القديمة وعمل حذاء جديد على اصلاح حذاء قديم ولذلك لا يتعبهم المعلمون والمعلمات في اصلاح الاشياء القديمة

ومن المصنوعات الكثيرة التي ذكرت لادي دارون انهم صنعوها البرانيط والاحذية والثياب على انواعها والمراويل والكراسي والموائد والرفوف والمعاجن والحصر والمنافض وكل الادوات الحديدية كالمطارق والرفوش والمزالق . وفي مدينة ستكهلم الآن ست عشرة مدرسة من هذهِ المدارس وفي اسوج كلها ٧٢ مدرسة . وقد اقتدت بها فنلندا والدنمارك ونروج وبولندا وفرنسا وروسيا وبلاد اليونان وودت ان تقتدي بها انكلترا ونحن نود ان تقتدي بها مصر وكل البلاد العثمانية فيتعلم اولاد الامة في صغرهم صناعات تفيدهم في كبرهم وينجون من سآمة الدرس الكثير في المدارس

والنساء انشأن هذه المدارس في بلاد اسوج فهل يقوم من نسائنا سيدات يسرنَ في خطتهنَّ وينشئنَ مدارس صناعية للاطفال افادةً لهم وانقاذاً من السآمة والضجر

جمعيات النساء

كان عدد الاناث في القطر المصري في التعداد الاخير الذي تمَّ منذ سنتين ٥٦٢٠٢٨٥ وعدد اللواتي يعرفنَ القراءة والكتابة منهنَّ ٦٠٦٥٣ اي نحو واحدة في المئة واكثر هؤلاء من الاوربيات والسوريات ولا سبيل الى ابلاغ غير المتعلمات ما يكتب في المواضيع النسائية والمتعلمات قليلات العدد جدًّا بالنسبة الى غير المتعلمات كما تقدَّم فما هو السبيل الى مخاطبة غير المتعلمات

نشرنا في بعض الاجزاء الماضية كلاماً لجمهور من الاطباء قالوا فيهِ ان وقاية الاطفال

من الادواء المميتة تقدم بتعليم امهاتهم كيف يعتنين بهم. فما هو السبيل الى تعليم النساء هذا الشيء الضروري وغيرهُ من لوازم الصحة والراحة وهنَّ يجهلن القراءة ولا يرجى ان يكثر عدد المتعلمات منهنَّ الاَّ بعد سنين متطاولة بل اننا نشك في امكان انشاء مدارس للبنات تكفي لربع ما يبلغ منهنَّ سن التعلُّم سنويًّا

ان مَن ينظر الى قلة عدد المتعلمات وقلة مَن يمكن تعليمهُ سنويًّا من غير المتعلمات يكاد يقع في اليأس من اصلاح الحال ولكن اذا اعتبرنا ان المرء يتعلم بالاذن اكثر ممَّا يتعلم بالعين اي انهُ يتعلَّم ممَّا يسمعهُ اكثر مما يقرأهُ بدت امامنا بارقة من الامل. كنا قُبَيْل كتابة هذه السطور في نادٍ فيهِ جماعة من الوجهاء فقال لنا وجيه منهم لماذا لا تعيدون تلك الجمعية الادبية التي كنتم تلقون فيها الخطب والمباحثات فقد سمعت فيها مباحثة في الموضوع الفلاني دارت بين فلان وفلان. ثم سرد لنا خلاصة تلك المباحثة مع انهُ قد مضى عليها الآن نحو ثلاث وعشرين سنة فأيَّد لنا بقولهِ هذا ما يقال من ان الانسان يتعلَّم ويحفظ ممَّا يسمعهُ اكثر ممَّا يتعلَّم ويحفظ ممَّا يقرأهُ

واذا كان الامر كذلك فالسبيل الى النساء غير المتعلمات سهل وهو ان نعقد لهنَّ جمعيات في بنادر القطر وجهاتهِ المختلفة يتردد عليها بعض النساء المتعلمات ويشرحنَ لهنَّ الامور الصحية اللازمة لتربية الاطفال وتدبير المنزل. ولا نرى ما يمنع الرجال من ان يقوموا بهذا العمل اذا تعذَّر وجود النساء للقيام بهِ واذا ابى السامعات ان ينظر الرجال الى وجوههنَّ ولا نظن ان نساء البنادر والارياف يأبينَ ذلك فليضعن البراقع على وجوههنَّ

ويظهر لنا اذا بذلت الهمة في هذا السبيل اي في تعليم النساء بالخطب السهلة الفهم ما تلزم معرفتهُ لهنَّ من امور تدبير المنزل وتربية الاطفال استفادت البلاد في سنتين ما تستفيدهُ من المدارس في سنوات كثيرة. فهل في البلاد ذوو غيرة وحمية ينفقون في هذا السبيل فيكسبوا الشكر الجزيل ويخدموا بلادهم اكبر خدمة

مدرسة في محلها

لا يخفى ان بنات الفلاحين اذا تعلمن في المدارس صعب عليهنَّ العود الى بيوت آبائهنَّ والتزوج برجال من اهلهنَّ فتعليمهنَّ قد لا يفيدهنَّ مطلقًا وقد يضرُّ بهنَّ ولا تستفيد منهُ عيال الفلاحين لانهنَّ لا يعدن اليها والفلاَّحون عماد البلاد واصلاح شؤُونهم اهم اصلاح تحتاج اليهِ. وقد بلغنا انهُ انشئت مدرسة داخلية في مدينة اسيوط تعلم البنت كل ما يلزم

لادارة البيت مع تعليمها القراءة والكتابة ومبادىء العلوم وتمنعها من لبس ثياب غير الثياب التي تلبسها في بيت ابيها بشرط ان تكون نظيفة دائمة فهي تقصد ان تصلح بيوت الفلاحين المصريين وتجعلها مثل بيوت الفلاحين الاوربيين من غير ان تزيد نفقاتها

هذه مدرسة في محلها والبلاد في اشد الحاجة الى امثالها فعسى ان تبحث نظارة المعارف عنها وتنسج على منوالها في المدارس التي تنشئها في بلاد الفلاحين ولو كانت داخلية

فوائد للسيدات

الاعتناء بالشعر

يشتكي كثيرٌ من السيدات من قصر شعرهن وتقصفهِ وتشققهِ فلا بد لهنَّ من الاعتناء بهِ لحفظهِ في حالة صالحة واستعمال المشط والفرشة صباحاً ومساءً وفرك فروة الرأس بهما فركاً جيداً فان ذلك ينبه جذور الشعر ويزيد في نموهِ . ويجب ان يكون المشط والفرشة من احسن جنس لا تشقق ولا تشعث فيهما ولا بأس بقص اطراف الشعر من وقت الى آخر فان ذلك يزيد في نموهِ . وافضل الادوية التي تمنع سقوط الشعر ما كان فيها مركبات البارافين كزيت البترول وغيرهِ وهي كثيرة

واذا كان الشعر جافًّا قصماً فيمكن تليينهُ بدهنهِ ببعض الزيوت وافضلها لذلك زيت الخروع النقي الخالي من الرائحة . ويلمع الشعر بعد غسلهِ بفركهِ بمنديل من الحرير الناعم

ازالة الشعر

لا واسطة لازالة الشعر من الوجه سوى الكهربائية . والوسائط المستعملة اعتياديًّا اما مضرَّة او لا فائدة منها بل ربما زاد نموُّ الشعر باستعمالها

ازالة الغضون من الوجه

لا يخفى ان الغضون اي التجعدات في الوجه يزيدها التقدم في العمر وضعف الجسم والمرض والهموم والاحزان . وافضل طريقة لازالتها ومنعها الدلك باحد المراهم الملطفة مثل « الكولد كريم » لكن الفائدة بالفرك لا بالمرهم ثم يمسح الوجه بغسول قابض مؤلف من ربع اوقية من العفص ونصف اوقية من الغليسرين وخمس اواقيّ من ماء الورد . وافضل الوسائل لمنع الغضون انبساط الوجه والاخلاق الحسنة الرضية وتقوية الجسم بالرياضة والهواء النقي

ازالة النمش

الادوية التي يقال انها تزيل النمش كثيرة وتحتوي غالبًا على موادّ سامة او مهيجة وهي لا ضرر منها اذا استعملت باعتناء تام · ومن الوسائل المستعملة لازالة النمش دهن الوجه باللبن الرائب وعصير الحصرم وعصير الفريز (الفرولا) وفركهُ بقطعة من الخيار او الليمون الحامض

غسل الوجه

كثيرٌ من السيدات يغسلن وجوههنَّ صباحًا مساءً باللبن الحليب مع مثل مقدارهِ من الماء النقي وهي طريقة حسنة جدًّا · وبعضهنَّ يغسلنهُ بالماء فقط ويضفن اليهِ قليلاً من ماء الورد · ولا بد ان يكون الماء لينًا اي ممَّا يرغو الصابون فيهِ جيدًا واذا كان قاسيًا اي ممَّا لا يرغو فيهِ الصابون يفضل استعمالهُ فاترًا ولا بأس باضافة قليل من البورق اليهِ · اما الصابون فيجب ان يكون من افضل جنسٍ

الاعتناء بالايدي

يجب على النساء الاعتناء بايديهنَّ ما امكن لاسيما اذا كنَّ من اللواتي يشتغلنَ بها فيجب غسلها جيدًا ثم فركها بالنخالة قبل تنشيفها فانهُ يزيد في نعومتها وبياضها · واذا كان فيها خشونة تغمس في الماء الفاتر نحوًا من خمس دقائق ثم تغسل وتنشَّف جيدًا وتفرك بعصير الليمون وتدهن بمرهم الكولد كريم ويرش عليها قليلاً من النخالة الناعمة وتصقل بقطعة من الجلد اللين

الاعتناء بالاسنان

يجب تنظيف الاسنان مرتين في اليوم بفرشة ناعمة ومسحوق لا مواد مضرَّة فيهِ · ومن العوائد المستحسنة المضمضة بالماء بعد الطعام وقد يضاف اليهِ قليل من كربونات الصوداء فان ذلك يزيل ما يتبقى من فضلات الطعام كالدهن والحوامض · ولا بد من غسل الفم ايضًا بعد تعاطي الادوية ولاسيما مركبات الحديد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مطبوخ الارمن والتغيرات الجوية

حمص. مصطفى افندي الترك. ان مطبوخ الارمن السنوي قسم الشهر اربعة اقسام يذكر في كل ربع منها ما يقع فيهِ من التغيرات الجوية قبل وقتهِ فنراهُ يصيب في بعض منها ويخطئ في بعض كما هو المشاهد فما مفتاح هذا العلم واستنباطهُ ومع اصابتهِ في البعض كيف اخطأ في البعض الآخر

ج. اذا اردتم بالتغيرات الجوية التغيرات الفلكية كظهور الهلال والبدر والكسوف والخسوف ومواقع السيارات فذلك يعرف بالحساب الفلكي لان سير هذهِ الكواكب معروف. وما يحدث هذه السنة من الكسوفات والخسوفات يتكرَّر كل ١٨ سنة و ١١ يوماً او ما يحدث كل ١٨ سنة و ١١ يوماً يتكرَّر في الثماني عشرة السنة والاحد عشر يوماً التي تتلوها وهكذا فكان يسهل على القدماء ان ينبئوا بما يحدث من هذا القبيل في مستقبل الازمان ويكون خطأهم قليلاً. ولكن اذا اردتم بالتغيرات الجوية وقوع الامطار وهبوب الرياح والعواصف والايام الغائمة والصاحية فذلك مما لا يعلم قبل حدوثهِ مطلقاً الاَّ اذا حدث شيء منهُ في بلاد وعُلمت جهة حركتهِ وسرعتها وارسل خبرها بالتلغراف الى المكان المتجهة اليهِ فانهُ يمكن الانباء بحدوثها فيهِ قبل حدوثها بيوم او بضعة ايام. وما صدق غير ذلك فصدقهُ اتفاقي

(٢) حرارة الشمس

مصر. عبد المجيد افندي سليمان. يقول العلماء ان الشمس تفقد مع الزمان جزءا من حرارتها فاين تذهب تلك الحرارة

ج. ان حرارة الشمس تشعُّ منها دائماً في الفضاء الذي حولها ويصل الى الارض جزء صغير منها وهو الجزء الذي تعترضهُ الارض في سيرهِ في الفضاء

(٣) الجاذبية الشعرية

ومنهُ. ما سبب ارتفاع السائل في الانبوبة

الشعرية او انخفاضهُ على حسب ما اذا كان السائل من طبيعتهِ ان يلصق او لا يلصق بالانبوبة فاننا لم نجد تعليلاً لذلك في الكتب العلمية التي بين ايدينا

ج · سببهُ في الحالة الاولى ان جاذبية الالتصاق بين الانبوبة والسائل اشد من جاذبية الملاصقة بين دقائق السائل وفي الثانية ان جاذبية الالتصاق اضعف من جاذبية الملاصقة

(٤) النبات والطب

ومنهُ · لماذا ابطل علم النبات من المدرسة الطبية المصرية · أَوَلا ترون علاقة بين هذا العلم والعلوم الطبية توجب جعلهُ من علومها اوَلا يمكن لطالب الطب ان يدرس علم النبات من كتبهِ بدون مساعدة استاذ في بلد مثل مصر

ج. نظن ان تدريسهُ أُبطل لانهُ يدرَّس في المدارس الاخرى التي يتخرج فيها الطالب قبل دخول المدرسة الطبية · ودرسهُ مفيد جدًّا للطبيب ولكنهُ ليس ضروريًّا لهُ · ويصعب درسهُ او يتعذَّر في هذه البلاد من غير ارشاد استاذ

(٥) غروب الشمس

بني سويف · كامل افندي فهمي · يفهم من جوابكم على سؤَالي في العدد السابق عن غروب الشمس ان المدة من نصف النهار الى نصف النهار هي ٢٤ ساعة وان المدة من الغروب الى الغروب ليست كذلك اذ لو كان كذلك لوجب ان يكون وقت الغروب بالساعة الافرنكية ثابتًا لا يتغير كما انهُ دائمًا على الساعة الثانية عشرة في الحساب العربي لان الساعة العربية مساوية للساعة الافرنجية · واذا كانت المدة من الغروب الى الغروب ليست ٢٤ ساعة دائمًا فلماذا يقولون ان وحدة الزمن وهي الساعة هي جزءٌ من ٢٤ من المدة التي بين الغروب والغروب التالي لهُ ولماذا تكون الساعة العربية دائمًا مضبوطة على الساعة الثانية عشرة وقت الغروب

ج · ان الساعة جزءٌ من اربعة وعشرين جزءًا من اليوم والقياس الصحيح لليوم هو من بلوغ نجم الهاجرة الى بلوغهِ الهاجرة في اليوم التالي ولا يقال انهُ من الغروب الى الغروب الاَّ توسعًا لان المدة من الغروب الى الغروب تطول وتقصر كما تقدم والساعة العربية لا تكون دائمًا مضبوطة على الساعة ١٢ وقت الغروب واذا كانت تدل دائمًا على ١٢ وقت الغروب فهي غير مضبوطة

(٦) دوران الشمس

ومنهُ · لقد استعظمتم سرعة الشمس اذا كانت هي التي تدور حول الارض في جوابكم على سؤَالي عدد ٢٨ مع ان تلك السرعة ليست مستحيلة فاذا قورنت بسرعة النور او الكهربائية نجد ان النور اسرع منها فنرجو بيانًا شافيًا لا يقبل الشك

ج · لم نقل ان هذا هو الدليل الوحيد على ان الارض هي التي تدور حول الشمس بل قلنا صريحًا ان هناك «ادلة اخرى على دوران الارض حول الشمس ترونها في كتب الفلك» واذا اردتم زيادة التفصيل فعليكم بمطالعة كتاب في علم الفلك او بمطالعة بعض الفصول التي كتبناها في المقتطف في هذا الموضوع · اما كون النور يسير بسرعة فائقة فلا يؤْخذ دليلاً على ان الاجسام الجامدة تستطيع ان تسير بهذه السرعة ولا تتمزَّق لان النور ليس مادة بل هو تموُّج او تحرك في دقائق الاثير وهذه الدقائق تتموج كما يتموَّج الماءُ اذا رمي فيهِ بالحجر من غير ان يحول من محلهِ اما دوران الشمس او النظام القديم فيقتضي ان تدور النجوم كلها حول الكرة الارضية بسرعة تفوق سرعة النور اضعافًا كثيرة جدًّا

(٧) الراي السديمي

ومنهُ · يقولون ان جميع الكواكب كانت كتلة واحدة فكيف كانت طريقة انفصال اجزائها الى كواكب

ج · اذا دار الجسم على نفسهِ بسرعة فقد تنفصل منهُ اجزاءٌ تدور حولهُ كما ينفصل الوحل من على عجل المركبات وهي مسرعة في سيرها · والظاهر ان النظام الشمسي اي الشمس وسياراتها كان كلهُ كتلة واحدة دارت على نفسها اما بسبب بردها وتقلصها اي بصدم جرم سماوي لها فلما دارت انفصلت عنها مادة السيارات واستدارت وبقيت تدور حولها وترون تفصيل ذلك في مقالاتنا عن الراي السديمي في المجلد السابع من المقتطف

(٨) ظهور التدخين في مصر

فراشه · الشيخ ابو هاشم علي قريط من قبيلة اولاد علي · من هو اوَّل من استعمل التدخين في القطر المصري وفي اي زمن كان ذلك

ج · لا نعلم من ادخل التدخين الى مصر ولا من استعملهُ اولاً والشائع انهُ جاءَ من اميركا عن طريق اوربا وكان ظهورهُ في الشرق سنة ١٠٠٠ هجرية الموافقة لسنة ١٥٩١ مسيحية وقد ارَّخهُ بعضهم بهذين البيتين

سألوني عن الدخان وقالوا
هل لهُ في كتابكم إيماءُ
قلت ما فرَّط الكتاب بشيءٍ
ثم ارَّخت يوم تأتي السماءُ

ولعله دخل الى مصر في تلك السنة او ما يقرب منها

(٩) حرارة ماء الآبار

ومنهُ · لماذا يكون ماءُ الآبار باردًا في الصيف وحارًّا في الشتاء

ج · اذا قسنا حرارة ماء الآبار بالترمومتر اي ميزان الحرارة وجدناها واحدة تقريبًا صيفًا وشتاءً لانها مكتسبة من حرارة جوف الارض وهي واحدة في الاعماق المتساوية ·

لكنّ حرارة الهواء وسطح الارض تتغيّر بتغيّر الاحوال الجوية فترتفع صيفًا وتزيد عن حرارة ماء الآبار فيظهر لنا ان ماء الآبار صار باردًا بالنسبة اليها وتنخفض شتاء فتنقص عن حرارة ماء الآبار فيظهر لنا ان ماء الآبار صار حارًّا

(١٠) تأثير الخصاء

لندن . سلامه افندي موسى . ما هو تأثير الخصاء في قوة العقل والجسم في الرجال والنساء

ج . تختلف نتيجتهُ في ما اذا كان قبل البلوغ او بعدهُ فخصاء الصبي يمنع فيهِ ظهور العلامات التي تميز الرجل عن المرأَة مثل نموّ شعر اللحية والشاربين وخشونة الصوت وهو يؤَثر ايضًا في الصفات الادبية التي يمتاز بها الرجال او هي فيهم اقوى ممّا هي في النساء كالاقدام وعلوّ الهمة والشجاعة والكرم وما اشبه . ولا ريب انهُ يضعف القوى العقلية ايضًا لكن ذلك ليس مطَّردًا فقد نبغ من الخصيان اقوامٌ اشتهروا في التاريخ مثل كافور الاخشيدي صاحب مصر . وهو يزيد المادة الدهنية في الجسم ويكسب الجلد نعومةً لكنهُ يضعف القوة العضلية . واذا كان بعد البلوغ فانهُ يؤَثر في بعض هذه الصفات ولا يؤَثر في غيرها . اما تأثيرهُ في النساء فمثل تأثيرهِ في الرجال مع مراعاة الصفات التي يمتاز فيها النساء عن الرجال

(١١) الادبيات في غير مصر

ومنهُ . ما هي حالة الادبيات العربية في غير مصر

ج . راقية جدًّا في بيروت وقد نشطت ايضًا في دمشق وطرابلس ولبنان وحلب وبغداد

(١٢) المسيحيون المتكلمون بالعربية

ومنهُ . كم عدد المسيحيين المتكلمين بالعربية في السلطنة العثمانية

ج . ليس لدينا احصاء مدقق لهم ولكننا لا نظن ان عددهم يقل عن ثمانمئة الف نفس

(١٣) لغة مصر العامية

ومنهُ . هل تختلف لغة مصر العامية عن عامية مراكش او بلاد العرب كثيرًا

ج . ان الاختلاف ليس قليلًا ولكنهُ لا يمنع التفاهم اذا تأَنَّى المتكلمون واصغى السامعون اما اذا تكلَّم اهل البلاد الواحدة بعضهم مع بعض فقلما يفهم كلامهم من كان من بلاد أُخرى

(١٤) توحيد مفضل بن عمر

اورنبرغ (روسيا) . رضاء الدين ابن فخر الدين . في خزانة كتبي الخصوصية كتاب عتيق مكتوب بقلم ليس برديء ولا جيد بل بين بين غير معلوم تاريخ الكتابة كتب قبل البسملة هذه العبارة « كتاب توحيد مفضل بن عمر رحمة الله عليهِ » وديباجتهُ

بعد البسملة هكذا « روى محمد بن سنان قال حدثني المفضل بن عمر كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وانا متفكر في ما خص الله بهِ سيدنا محمداً صلى الله عليهِ وسلم واله من الشرف والفضائل وما منحهُ واعطاهُ وشرَّفهُ وحباهُ مما لا يعرفهُ الجمهور من الامة وما جهلوهُ من فضلهِ وعظيم منزلتهِ وخطر مرتبتهِ فاني كذلك اذ اقبل ابن ابي العوجاء فجلس» الخ وعند تمام الكتاب مسطور هذه الجملة « قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف احد بمثلهِ . تم بعون الله وتوفيقهِ والله اعلم »

فاني فتشت عن ترجمة المفضل بن عمر كي اعرف عصرهُ ومصرهُ وسائر احوالهِ وقلبت اوراق كتب التراجم والطبقات التي عندي ولكن ما وقفت على اثرهِ في شيء وما وجدت محمد بن سنان ولا ابن ابي العوجاء بل لم اقف على كتاب اسمهُ توحيد المفضل في اسماء الكتب التي لديَّ ولذلك جئت اليكم معتذراً لتفيدوني وتعرفوني هذا الكتاب وترجمة حال صاحبهِ ولو بالاختصار خدمة للعلم واهلهِ

ج . لم نعثر على اسم المفضل بن عمر في كتبنا ولا في المكتبة الخديوية ولم نجد ذكراً لكتابهِ في التوحيد في فهرست المكتبة الخديوية ولكن عثرنا على اسم رجل من الرواة اسمهُ محمد بن سنان القزاز ذكرهُ الطبري مراراً واخذ عنهُ ولعلهُ محمد بن سنان المذكور في ديباجة هذا الكتاب وكان معاصراً للطبري . وقد ولد الطبري سنة ٢٢٤ هجرية وتوفي سنة ٣١٠

(١٥) الجنس السوري

نيواورليان . الخواجه شديد نعمة عطايا والخواجه ميشيل فضل الله كحيل . هل الجنس السوري مغولي او قوقاسي

ج . كل العلماء الباحثين في هذا الموضوع من لينيوس وبلومنباخ الى هكسلي وفيرخو وفلور وبروكا وتوبينار متفقون على المزايا التي تميز الجنس القوقاسي عن الجنس المغولي وهذه المزايا تجعل السوريين كلهم من الجنس القوقاسي حتماً بعضهم من الفرع الاشقر منهُ حسب تقسيم هكسلي وبعضهم من الفرع الاسمر . وليس ذلك فقط بل ان الجنس القوقاسي يسمى عند علماء الاثنولوجيا اي علماء الانسان بالجنس المديترَّاني نسبة الى بحر الروم المعروف بالمديترانيان او المتوسط فالسوريون اخص فروع الجنس القوقاسي وقد كان وطن هذا الجنس اصلاً غربي اسيا وجنوبي اوربا وشمالي افريقية اي سورية وبر الاناضول والروملي وبلاد اليونان وايطاليا ومصر وتونس والجزائر او الاراضي المحيطة بالبحر المتوسط او بحر الروم . واقسام هذا الجنس اولاً الساميون في سورية والعراق وبلاد العرب وشمالي افريقية . ثانياً الآريون في الهند

وايران وبلاد الارمن وبر الاناضول واوربا وفروعهم الهنود والافغان والفرس والارمن واليونان والطليان والكلت والتيوتون والصقالبة · وثالثًا الحاميون في شمالي افريقية وشرقيها ومنهم سكان مصر الاصليون والبربر والبجاة · ورابعًا القوقاسيون بالذات وهم الشركس والكرج والابخاس وخامسًا الباسك سكان جبال البرينيز الغربية · وقد وردت علينا مسائل كثيرة من هذا القبيل · واذا كان احد من جهلة الاميركين يعتقد ان السوريين من الجنس المغولي فما على السوريين الاَّ ان يردوهُ الى علماء الاثنولوجيا Ethnology او يروهُ اي كتاب كان من كتب الاثنولوجيا فيجد فيهِ ان السوريين من صميم الجنس القوقاسي

(١٦) السوريون والعرب

ومنهُ · هل السوري والعربي من سلالة واحدة

ج · ان اكثر السوريين من الفرع السامي من الجنس القوقاسي كالعرب وبعضهم من الفرع الآري اي من اصل يوناني ولاتيني

(١٧) منُّ النبات

اسيوط · وليم افندي مشرقي · ما هو المن الذي يصيب المزروعات والاشجار ويسبب سقوط ازهارها مثلما حصل هذه السنة ببعض بلاد الوجه القبلي وسقط اكثر ازهار اليوسف افندي وكيف يوجد في الطبيعة وهل من واسطة لمنعهِ عن الكرنب

ج · المن اسم عام لحشرات دقيقة خضراء او سوداء تمتص عصارة النبات وهو يوجد بالتوالد بعضهُ من بعض والغالب ان النمل الصغير ينقلهُ من شجرة الى أُخرى لانهُ يغتذي بالعصارة العسلية التي يفرزها وتوجد حشرة كبيرة نوعًا تأكلهُ وهي اكبر عدوّ لهُ فاذا وجدت على شجرة فالغالب انها تنقيها من المن واذا ذُرَّ الرماد على الكرنب فالغالب انهُ يميت ما عليهِ من المن

(١٨) الحامض الفصفوريك

ومنهُ · كيف أُكتشف وجود الحامض الفصفوريك في الارض الزراعية

ج · خذ عشر غرامات من التراب بعد تجفيفه وتنعيمهِ جيداً وغطهِ بالحامض النيتريك المركز في اناء زجاجي واحمهِ في حمام رملي الى ان ينقطع تولد بخار الحامض النيتروس دلالة على انحلال كل المواد الآلية وبخّر المزيج في صحفة من الخزف الصيني واحرقهُ حتى ينقطع صعود الابخرة الحامضة وسخّن الباقي مراراً مع قليل من الحامض النيتريك المخفف واكسر القطع المتولدة بقضيب من الزجاج ورشحها وعدّل اكثر الحامض النيتريك الذي فيها واحمها الى درجة ٧٠ سنتغراد واضف اليها كثيراً من مذوب المولبدات الامونيك ثم مذوب المغنيسيا وهو يصنع من مذوب الكلوريد المغنيسيك والكلوريد الامونيك وحرك المزيج بقضيب

من الزجاج من غير ان تمس بهِ جوانب الاناء وغطِّ الاناء واتركهُ عشر ساعات فيرسب الفصفات الامونيك المنغنيسيك

(١٩) مؤلفات لوز

ومنهُ . هل للسر جون لوز مؤلفات في الطب البيطري او في الكيمياء الزراعية او علم الزراعة او علم النبات

ج . لهُ تقارير كثيرة عن التجارب الزراعية التي اشار اليها المقتطف مراراً كثيرة ولا نعلم ان لهُ كتباً اخرى

(٢٠) دواء للصلع

غراياهو (البرازيل) . الخواجه الياس الخوري . قرأت اعلاناً في بعض الجرائد جاء فيهِ ان رجلاً فرنسويًّا اكتشف دواء يمنع سقوط الشعر ويشفي من الصلع فهل ذلك صحيح

ج . لا نظن ان احداً اكتشف دواء للصلع ولو صح ما جاء في الاعلان الذي تشيرون اليهِ لطبقت شهرتهُ الخافقين

(٢١) القمر والمطر

ابو حمد . . . افندي لبيب . ما هو التعليل الطبيعي في تأخر المطر حينما يكون القمر في التربيع الثالث او بدراً كاملاً

ج . ان المطر لا يتأخر حينما يكون القمر في التربيع الثالث ولا حينما يكون بدراً ولا تعلم علاقة للقمر بالمطر على الاطلاق

(٢٢) كتب الادلاء الانكليزية

اسنا . الياس افندي جرجس . ما هي افيد كتب الادلاء باللغة الانكليزية للمسافر الى بلاد الانكليز وفرنسا والولايات المتحدة واين تباع في مصر

ج . كتب بدكر Baedeker وهي تباع قرب لوكندة شبرد وكل باعة الكتب الاوربية يبيعونها

(٢٣) مدارس انكلترا

ومنهُ . ما هي افيد مدرسة لشخص حائز على معلومات الشهادة الابتدائية حتى يكمل دروسهُ في البلاد الانكليزية وكم هي المصاريف المتوسطة التي تكفيهِ في السنة وهل يقبل في مدرسة عالية او تجهيزية بدون شهادة من نظارة المعارف

ج . المدارس الانكليزية كثيرة واشهرها عند ابناء هذا القطر اكسفرد وكمبردج والمصاريف السنوية نحو ثلثمائة جنيه ويمكن قبول الطالب بدون شهادة اذا جاز الامتحان هناك

(٢٤) شركة جريشام

سانتوس . الخواجه زخور الخوري . لقد عثرنا في مقتطفكم الاغر على فقرة عن شركة جريشام للتأمين على الحياة ذكرتم فيها رأسمالها الاحتياطي ومدخولها السنوي والمدفوع للمؤمنين ويظهر من تلك الارقام ان المدفوع للمؤمنين معدلهُ اكثر من المدخول السنوي فاخذتنا الدهشة وهي شركة يشار اليها بالبنان فكيف ترضى بعمل فيهِ خسارة مستديمة

ج • لا نتذكر اننا كتبنا شيئًا مّماذ كرتموهُ ولكن يطبع على غلاف المقتطف اعلان من هذه الشركة يذكر فيهِ ان رأس مالها الاحتياطي ٩٨٠٠٠٠٠ جنيه ومدخولها السنوي ١٤٠٠٠٠٠ جنيه والمدفوع للمؤمنين ٢٣٠٠٠٠٠٠ جنيه فاذا كان هذا هو مرادكم فايضاحهُ ان المدفوع للمؤمنين هو كل مادفعتهُ الشركة للمؤمنين من اول انشائها الى الآن • اي ان رأس مال الشركة الاحتياطي وقت نشر الاعلان كان تسعة ملايين وثمانمئة الف جنيه ومدخولها السنوي من المؤمنين ومن تشغيل اموالها مليون واربع مئة الف جنيه وجملة الاموال التي دفعتها الى المؤمنين من اول انشائها سنة ١٨٤٨ الي الآن ٢٣ مليون جنيه • وقد سألنا ادارة هذه الشركة في مصر عن دخلها السنوي وما تدفعهُ الآن سنويًا للمؤمنين فاجابتنا ان دخلها في سنة ١٩٠٨ بلغ ١٤٠٦٧٦٢ جنيهًا ودفعت من ذلك لورثة الذين ماتوا من المؤمنين ٤٩٧٤٩٧ جنيهًا ودفعت للذبن انتهت مدة تأمينهم ولم يموتوا ٣٢٦٧٨٧ جنيهًا فجملة ما دفعتهُ عن التأمين ٨٢٤٢٨٥ جنيهًا واذا اضيف هذا المبلغ الى نفقات الادارة ونحوها تلك السنة بلغ الباقي من دخلها فيها نحو ٢١٤١٩٨ جنيهًا اي زاد مالها الاحتياطي بهذا المقدار ولا اشكال في ذلك

(٣٥) سبب الزلازل

جاميكا • الخواجه نجيب يوسف • حدث هنا منذ مضي سنتين ونصف سنة زلزلة مهولة ولم تزل تتبعها هزات متواترة فما هو سبب تلك الزلزلة والهزات المتواترة

ج • ان سبب الزلازل هبوط جزء من قشرة الارض فاذا كان في قلب جبل غار كبير او ارض رخفة وكان سقف ذلك الغار او تلك الارض صخرًا كبيرًا فانهُ يكون حاملاً ثقل ما فوقهُ من الجبل فاذا زاد ضغط الهواء على الجبلِ لسبب من الاسباب الجوية فلا يبعد ان ينقدَّ ذلك السقف ويهبط فيهز الارض ويزلزلها وقد تزول الموازنة من الاماكن المجاورة فتصير سقوف الكهوف الصغيرة تهبط الواحد بعد الاخر فيكون من ذلك هزات صغيرة • هذه اهم اسباب الزلازل الكبيرة والهزات الصغيرة

(٣٦) تعقيم الماء

ومنهُ • هل تصفية ماء الشرب بقطعة من القماش كافية لمنع بعض الميكروبات وما اسهل طريقة لتعقيم الماء

ج • غير كافية واسهل طريقة اغلاؤُهُ جيدًا ثم يبرَّد في آنية نظيفة ويشرب والترشيح بمرشح باستور كافٍ لتنقيتهِ غالبًا

(٣٧) غور ماء نهر

ومنهُ • يوجد هنا نهر فتح بغتةً هوَّة في قعرهِ وغار الماء فيها فكيف تعللون ذلك

ج · اذا كان الامر كما ذكرتم فالظاهر ان سقف الكهف الذي خسف واحدث الزلزلة او احدى الهزات التي تلتها كان تحت النهر فانفتحت الهوة فيهِ · ومن المحتمل ان الماء يجري من هناك الى البحر او الى مكان شديد الحرارة في جوف الارض فيستحيل بخاراً ويخرج من بعض الثقوب

(٣٨) مثاقب الصخور

اسكلة طرابلس · شكري افندي فاخوري · اين توجد آلات لثقب الصخور الصلبة

ج · توجد في معامل الآلات الحديدية في بلاد الانكليز وغيرها فاطلبوها باسم Darlington Rock-boring Machine او باسم Diamond-drills

(٣٩) نسف الصخور

ومنهُ · كيف تنسف الصخور النارية والكاسية

ج · تنسف بالبارود او بالديناميت كما تنسف في بلاد الشام ولكن اذا كان المقدار كبيراً فالغالب ان الذخير يشعل بسلك كهربائي عن بعد

* * *

باب الاخبار العلمية

مجلس المبعوثان والنطق السلطاني

افتتح مجلس المبعوثان في ٢١ نوفمبر في سراي جراغان افتتحتهُ الحضرة السلطانية وتلي فيهِ النطق السلطاني وهذه ترجمتهُ

ايها الاعيان والمبعوثان المحترمون

نرحب باعضاء المجلس العمومي شاكرين الله تعالى شكراً لا حدَّ لهُ لانهُ اراد ان يبتدئ ملكنا بدور الدستور المسعود وان نفتتح في اول سنة من جلوسنا الاجتماع الثاني لمجلس النواب الذي هو مثال الحكم الدستوري المشروطية والمشورة اللذان يأمر بهما الشرع الشريف والعقل والنقل هما السبيل الوحيد الى النجاة والسلامة · ففي مثابرتنا على السير في هذا السبيل نستطيع الوصول الى القوة والاتحاد اللذين هما من اشد اللوازم لحياتنا السياسية والاجتماعية · فالمحافظة على القانون الاساسي وتأييد قواعدهِ وتطبيقها هي من اخص رغائبنا وسنشتغل بعون الله وعنايتهِ وروحانية النبي وامدادهِ بكل قوتنا نحن ورعايانا لبلوغ هذه الغاية

لقد سررنا كثيراً في اثناء سياحتنا في بروصه وازميد واقتربنا من افراد رعيتنا وشاهدنا افكار الاخاء تزداد وتقوى بين

ابناء الوطن. واني اعد تعميم الخدمة العسكرية التي هي من نتائج القانون الاساسي الطبيعية الذي يقضي بمساواة افراد الامة في الحقوق والواجبات من اهم الحوادث التي قضى بها انقلابنا السياسي. فهذا التعميم مؤدٍ الى تكامل شأن الملة واعلائهِ وستعلّم الجندية اولاد الوطن مبادئ الاخاء الصحيحة العثمانية تعليماً وثيق العرى متيناً. وان المناورات التي اجرتها جنودنا وبحارتنا ودلائل الانتظام والترقي التي اظهرتها فيها جديرة بالتقدير لاسيما وانها حدثت لاول مرة. وعلينا ان نعزّز قواتنا البرية والبحرية التي يعتمد عليها واجب الدفاع عن الوطن وتأييد السلم العام. اما احوالنا الداخلية فهي محمودة لا توجب الخوف. فقد اسرعت الحكومة الى اتخاذ التدابير اللازمة على اثر الحوادث التي وقعت في قضاء الزيدية التابع للواء الحديدة من ولاية اليمن وفي متصرفية العسير فالقبائل التي خرجت عن الطريق القويم عادت اليوم الى الطاعة . وقد ظهر بعض حوادث في برازان ولومه التابعتين لولاية الموصل وقوصوه الا انها ليست بذات اهمية فمتى اتسعت المعارف وتعممت نعم الدستور تنقطع هذه الحوادث وامثالها بلا شك

ويجب علينا ان نبدأ حالاً باستثمار خزائن بلادنا الواسعة لزيادة الرفاه العام ويجب بذل الوسع ايضاً في نشر المعارف التي لم تبلغ الى الآن الدرجة المطلوبة. وترقية صناعاتنا واشغالنا العمومية لنبلغ الدرجة التي تتطلبها حالتنا

واشد رغائبي هو ان ارى التوازن في المالية لان التوازن هو اساس الاصلاح فقد اعتني عناية عظيمة بترتيب الميزانية العمومية التي قدمت اليكم غير انهُ بالرغم عن ذلك لم يتم التوازن المقصود الاَّ ان الامل معقود باتمام ذلك متى صودق على زيادة رسوم الجمارك واعطي بعض الامتيازات بحصر بعض الاصناف وحسنت طريقة توزيع الضرائب وجبايتها فتزداد بذلك الثقة المالية بنا اكثر مما ازدادت منذ حين حينما عقد القرض الاخير

اشتغل مجلسكم في دورهِ الاول باقامة القانون الاساسي على اساس دستوري وعلى اسس النظام العام. وسيشتغل هذا العام بمشروعات النظامات التي ستعرضها عليهِ هيئة الحكومة وهي تتعلق بشؤون البلاد الاجتماعية والاقتصادية وبتأييد النظام والامن العام بقوة القانون. ومن هذه النظامات نظام التجارة البرية والبحرية. ونظام الاموال غير المنقولة ونظام قضاة الصلح المتنقلين ونظام ادارة الولايات العمومية ولائحة تتعلق بقانون الجزاء

ان علاقاتنا مع الدول ودية ونرى بمزيد المنة ان غاية الدول ترمي الى حفظ السلم

العام وهذا الامر يجد منا تأييداً كبيراً ٠

ونحن مع رغبتنا الشديدة في المحافظة على هذه المبادىء محافظة شديدة ترغب حكومتنا في ان تكون عاملاً قوياً في حفظ السلم العام واود ان اذكر خصوصاً المساعي الخصوصية التي قامت بها هيئتا مجلسي الاعيان والمبعوثان في دورها الاول سائلاً الله ان يوفق اشغالكم في المستقبل ونحن نفتتح الآن الدور الثاني لمجلس النواب »

الجامعة المصرية

فتحت الجامعة المصرية ابوابها لقبول الطلبة في ٢٧ نوفمبر الحالي وقرَّرت القاء الدروس الآتية

١ محاضرات باللغة العربية في آداب اللغة العربية والاستاذ حفني بك ناصف

٢ محاضرات باللغه العربية في الرياضيات العالية والاستاذ صابر صبري باشا

٣ محاضرات باللغة العربية في الطبيعة والاستاذ اسمعيل حسنين بك

٤ محاضرات في آداب اللغة الانكليزية والاستاذ المستر ملر

٥ محاضرات في آداب اللغة الفرنسوية والاستاذ المسيو بوفيليه

٦ محاضرات باللغة الفرنسوية في الاقتصاد السياسي والاستاذ المسيو جرمان مارتان

٧ محاضرات باللغة الفرنسوية في علوم العرب والاستاذ السنيور ناللينو

٨ محاضرات متنوعة باللغة الفرنسوية تلقيها المادموازل كوفريير في مواضيع مختلفة تختص بالسيدات ويكون الحضور خاصاً بهنَّ فقط

واوقات التدريس من الساعة الرابعة ونصف الى الساعة السابعة

ثوران بركان تنريف

ثار بركان تنريف فانفتحت فيهِ اربع فوهات جرت منها الحمم مسافة ثلاثة اميال ونصف في عرض ١٣٠٠ قدم فملأَت وهدةً عمقها ثمانون قدماً واجتازتها وقد اخذ الاهلون يفرّون من الجزيرة

وبركان تنريف جبل علوّهُ ١٢٢٠٠ قدم في جزيرة تدعى بهذا الاسم عدد سكانها ١١٢٠٠٠ نفس وهي احدى جزر كناري٠ واكثر جبال كناري براكين خامدة وجبل تنريف هذا اعظمها ارتفاعاً وقد ثار آخر مرة سنة ١٧٩٨ ولم تزل الغازات تخرج من شقوقٍ فيهِ منذ ذلك الحين

تقدم الطيران

لم تزل اخبار الطيران ترد علينا تباعاً وقد جاءَ في الاخبار التلغرافية ان فارمن طار مسافة ١٤٤ ميلاً وهي اطول مسافة امكن

قطعها بالطيران الى الآن

وقد اقلع من مرسيليا جماعة من اصحاب الطيارات ووجهتهم القطر المصري وهم غير الذين اتفقت معهم شركة واحات عين شمس

الثوم عند قدماء المصريين

المسيو لوره ثقة يعوَّل عليهِ في درس النباتات المصرية القديمة وقد نشر حديثاً خلاصة بحثهِ عن الثوم عند قدماء المصريين فقال انهُ كان كثيراً في مصر في زمن الفراعنة وورد ذكرهُ في بعض الكتابات القديمة ووُجد النبات نفسهُ في احد القبور في طيبة وهو اقرب الى الثوم الذي يزرع في الواحات منهُ الى الثوم الذي يزرع في مصر في يومنا . وقد جاءَ في احدى كتابات البردي ان رعمسيس الثالث ارسل هدايا كثيرة الى كهنة طيبة وبينها نبات يدعى «خذجانا» توصل المسيو لوره الى معرفتهِ بمقابلة هذه اللفظة بما جاءَ في سفر العدد في الترجمة القبطية القديمة وتحقق لديهِ انهُ الثوم والآية في سفر العدد هي هذه «قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكلهُ في مصر مجاناً والقثّاء والبطّيخ والكرّاث والثوم» (عدد ١١ : ٥) فلفظة الثوم يقابلها شوم بالعبرانية وشومو بالاشورية فهي متشابهة في اللغات السامية لكنها خدجانا بالمصرية القديمة

ومما يذكر استطراداً ان «البطيخ» يسمى «أَبَطِّيخيم» بالعبرانية بصيغة الجمع «وبدوغا» او «بَطِيخه» بالقبطية والمصرية القديمة «والبصل» يسمى «بَصَل» بالعبرانية و«بزل» او «بجَر» بالقبطية والمصرية القديمة

السود في افريقية الشرقية

نشر المستر ونستن تشرتشل مقالة في احدى المجلات بحث فيها في مسألة البيض والسود في افريقية الشرقية وهو يرى ان لا خوف من مزاحمة الاوربيين لاهلها بل الخوف من مزاحمة الاسيويين لهم فالاوربيون لا يطيقون الاقامة فيها زمناً طويلاً ولا دليل على انهم يقدرون ان يستوطنوها في المستقبل

اما الهنود فهواءُ البلاد يوافقهم ولهم فيها حقوق فلولاهم لم تصل الى ما هي عليهِ الآن وليس من حسن السياسة طردهم منها . وهو يرى انهُ لا بأس باتفاق العناصر جميعها على تقدُّم تلك البلاد ونفعها

مذنب هلي

نشرت المجلة الفلكية تقويماً لمذنب هلي عن شهري ابريل ومايو جاءَ فيهِ ان مرور المذنب في نقطة الراس يكون في اليوم ١٩,٦٥ من شهر ابريل فيكون في اقرب نقطة من الارض في ٢٠ مايو وتكون المسافة بينهُ وبينها

١٤ مليون ميل . ويصير امام الشمس في ١٨ مايو كما ذكرنا في المقالة التي صدرنا بها هذا الجزء من المقتطف

الداء الاسود

انفذت الحكومة السودانية اثنين من ضباط القسم الطبي لدرس الداء الاسود (كلازار) في جهات النيل الازرق

مؤتمر لدرس الراديولوجيا

سينعقد في معرض بروسل القادم مؤتمر مشترك لدرس الراديولوجيا (علم الاشعاع) والكهربائية وذلك في شهر مارس سنة ١٩١٠

الكابتن بيري

ثبت للجنة التي عُينت لفحص اوراق الكابتن بيري انهُ بلغ القطب الشمالي وقد قدَّمت تقريرها الى الجمعية الاهلية الجغرافية في وشنطون فقبلتهُ باجماع الآراء ومنحت الكابتن بيري مداليتها الذهبية وقرَّرت تعيين لجنةٍ اخرى للبحث في ما اذا كان احدٌ قد بلغ القطب قبلهُ

القمح وتحسين زراعتهِ

جرى البحث في مجمع تقدم العلوم البريطاني عن القمح وتحسين زراعتهِ فقرأَ بعضهم رسالةً جاء فيها ان المواد النيتروجينية ضرورية جدًّا لنمو القمح وزيادة محصولهِ اما المواد الفصفورية وان تكن اقل من المواد النيتروجينية اهمية فانها تسرع في نموهِ ويحسن استعمالها في البلاد الباردة جدًّا حتى ينتهي الموسم قبل حلول البرد الشديد . وقرأَ آخر خطبةً جاء فيها انهُ ليس من المؤكد ان مقدار النيتروجين والفصفور والبوتاسا في التربة يزيد مقدار هذه المواد في القمح لكن الرطوبة لها تأثير شديد في تركيب الحبة ومقدار النيتروجين فيها فقد زرع قمحًا فيهِ ١٢٫٥ بالمائة من النيتروجين في ارض جديدة رطبة فكان في المحصول ٩٫٩ بالمائة من النيتروجين وزرعهُ في ارض قديمة على مقربة من الاولى لكنها اكثر منها نشوفة فوجد مقدار النيتروجين في المحصول ١٢٫٤ بالمائة اي ان الرطوبة تقلل كمية النيتروجين في القمح

ثم بحث بعض الاعضاء عن جودة القمح في نظر الطحَّان والخباز فقال احدهم ان دقيق القمح الجيد يجب ان يكون عجينهُ مرنًا متماسكًا حتى يسهل عمل الارغفة منهُ على اشكالٍ مختلفة وفي اي حجم كان وان كمية الماء اللازمة لعجنهِ من الامور التي ينظر اليها الخبازون بعين الاهمية . ثم ان الارغفة بعد خبزها يجب ان يكون شكلها حسنًا وهواؤُها كثيراً (اي تكون اسفنجية القوام) ويتم ذلك بمعرفة العلاقة بين هذه الخصائص والتركيب الكيماوي في انواع القمح . ثم قام غيرهُ وقرأَ رسالة عدَّد فيها ما عرف الى الآن

من هذه العلائق وقال انهُ يجب علينا ان ننظر الى تركيب القمح الكيماوي من وجوهٍ عديدة ككثرة المواد النيتروجينية فيهِ وكبر الحبيبات النشائية وغير ذلك · وذكر غيرهُ انهُ مزج نوعين من القمح احدهما من الاسمر الصلب والآخر من الابيض الليّن فكانت النتيجة من مزجهما احسن مما لو خبز كلٌّ منهما على حدة

ثم بحث آخر في الموضوع من وجه آخر وهو تأصيل القمح وقال ان القمح يجب ان يربَّى منهُ النوع الذي يوافق التربة التي يزرع فيها ولاسيما في الاصقاع الباردة التي لا يصلح لها الاَّ القمح السريع النمو . وقال غيرهُ ان انتخاب القمح الجيد الاصل لهُ اهمية كبيرة في مقدار المحصول وجودتهِ

التحريش

ومن المسائل التي جرى فيها البحث في مجمع ترقية العلوم البريطاني امر الحراج وزيادة الاعتناء بها فقال احدهم ان ثمن الخشب في ارتفاعٍ سنة بعد أُخرى وسبب ذلك ضيق الحراج فالواجب على كلِّ بلادٍ ان تعتني بحراجها اشدَّ الاعتناء وتغرس الاشجار في الاماكن التي لا تصلح لغير ذلك

لحم المعادن

لا يخفى ان لحم الحديد قديم جدًّا ولعلهُ يرجع الى الزمن الذي اكتشف فيهِ هذا المعدن وهو سهل لان من خواصّ الحديد انهُ يلتحم بسهولة متى احمي وطرِّق · وكانت الطريقة المتبعة في لحم بعض المعادن ان يكون اللحام معدنًا آخر من خواصهِ انهُ يصهر على درجة اقل من الدرجة التي يصهر عندها المعدن المراد لحمهُ · اما الآن فانهم يلحمون اكثر المعادن كما يلحم الحديد واذا احتيج الى درجة مرتفعة من الحرارة استعملت الكهربائية وقد نجحوا حديثًا في لحم الالومينيوم ويقال انهُ يكون في المحل الذي لحم فيهِ اقوى مما هو في غيرهِ اي انهُ اذا قصم قضيبٌ ملحوم منهُ ينقصم في مكان غير المكان الملحوم

ماذا يرى في المريخ

اجلى رصد المريخ عن اكتشاف ترع جديدة فيهِ وظهور بعض الترع القديمة مزدوجًا او مركبًا من ترع كثيرة ويظهر من رسمين رسما لهُ في الربيع والصيف ان الخطوط التي عليهِ اوضح واكثر عددًا في الصيف منها في الربيع · وقد قدَّر بعضهم ان عمق ترع المريخ ٥٠٠ قدم اذا كانت على اضيق ما يمكن او ٣٧٠ قدمًا اذا كانت سعتها ٤٥٠٠ قدم واذا كانت على هذا الحد من العمق والسعة فهي ترع للنقل ولو استعملت احيانًا للري على ما قالهُ الدكتور بكلفتن في الجمعية الملكية ببلاد

الانكليز . وكتب المستر هنت الى جريدة ناتشر مرتئياً ان هذه الترع تخزن القوة فترفع المياه الى اعالي الترع بطلمبات هوائية وقت عصف الرياح ثم تجري المياه منها وقت السكون فتولد كهربائية للنور والحرارة ولادارة الآلات . ولا سبيل لسكان المريخ الى توليد الحرارة والقوة بغير ذلك بعد ان فرغ المريخ من الوقود فتكون هذه الترع للنقل والقوة والري

خريطة كبيرة للارض

اجتمع اربعة وعشرون من نواب بريطانيا وفرنسا والمانيا والنمسا وروسيا واسبانيا والولايات المتحدة وكندا واستراليا في دار وزارة الخارجية ببلاد الانكليز للبحث في رسم خريطة كبيرة للارض كلها تكون بمقاس $\frac{١}{١٠٠٠٠٠٠}$ اي بنسبة بوصة لكل ستة عشر ميلاً ليعتمد عليها في كل البلدان فقرَّ رأيهم على ان تختار دولهم من تعتمد لاخراج ذلك من القول الى الفعل

قطر برنان

ذكرنا منذ سنتين ان المستر برنان استنبط طريقة لجعل قطرات سكة الحديد تسير على قضيب واحد من الحديد بدل السير على قضيبين وسميناها قطرات الدوَّامة لانها تثبت علي الخط الواحد ولا تنقلب عنهُ بواسطة دوامات فيها تدور بسرعة فائقة . وقد تمكن الآن من عمل مركبة كبيرة ثقلها ٢٢ طناً وتحمل ما ثقلهُ ١٥ طناً ووضع فيها دوامتين سرعة كلٍّ منهما ثلاثة الاف دورة في الدقيقة من الزمان وجربها في العاشر من نوفمبر فركب فيها اربعون نفساً فسارت بهم سبعة اميال في الساعة . وهو يتوقع ان يحسن هذه المركبات كثيراً حتى تصير سرعتها ١٥٠ ميلاً

السر ارنست شكلتن

انعم جلالة ملك الانكليز على السر ارنست شكلتن بلقب سر وقد قوبل باحتفال عظيم في جمعية باريس الجغرافية في ١٥ نوفمبر الحالي فخطب فيها مفصلاً رحلتهُ الى القطب الجنوبي ولما اتم الخطبة نهض البرنس رولند بونابرت رئيس الجمعية وقال انهُ منذ انشئت جمعيتنا هذه سنة ١٨٢٧ وهي تهتم باعلاء شأن كل من فاق اقرانهُ من اهل السياحة بمنحها اياهُ وسامها الاكبر الذهبي فمنحتهُ للسر جون فرنكلن والسر جيمس كلارك وروس ودومون دورڤيل ونانسن من رواد القطبين ويسرها الآن ان تضيف الى اسماء هؤلاء العظام اسماً آخر باهدائها اليهِ وسامها الذهبي وهو اعظم ما يمكنها منحهُ

وقد حظي السر ارنست شكلتن بمقابلة ملك اسوج ايضاً فانعم عليهِ بوسام النجم القطبي

فهرس الجزء السادس من المجلد الخامس والثلاثين

١١٣٧ مذنب هلي
١١٤٣ سر الوجود
١١٤٥ سورية ولبنان
١١٦٦ الطبيعيات وارتقاؤُها
١١٦٩ ما هي الحياة
١١٧٢ الكوليرا والصحة في مكة المكرمة
١١٧٨ برنارد شو وروايتاهُ
١١٨٢ معجم الحيوان · (مصوَّرة) للدكتور امين المعلوف
١١٨٧ المقرن · لأَسعد افندي داغر
١١٩١ الكرة والصولجان (مصوَّرة) · للدكتور امين المعلوف
١١٩٥ مناجاة الارواح (مصوَّرة)

١٢٠٠ باب الزراعة * تربية دود الحرير في القطر المصري · اصلاح المواشي المصرية · موسم القطن · ربح الزراعة ومصاريفها
١٢٠٧ باب التقريظ والانتقاد * عبرة وذكرى · كتاب الحضارة القديمة · آداب السلوك ·
١٢١٢ باب تدبير المنزل * مدارس الاطفال الصناعية · جمعيات النساء · مدرسة في محلها · فوائد للسيدات · ازالة الشعر · ازالة الغضون من الوجه · ازالة النمش · غسل الوجه · الاعتناء بالايدي · الاعتناء بالاسنان
١٢١٧ باب المسائل * وفيهِ ٢٩ مسأَلة
١٢٢٥ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٧ نبذة